# الإناء العجيب وجواهره الثمينة

القس عبدالله صايغ

# المحتويات

تمهيد
نظرة إجمالية إلى الجسد
الوجه
العين
نظارات إبليس
الصفات اللائقة بعين المؤمن
الأذن
الأنف
اللسان
الفم والشفتان
اليد
القلب

# الإناء العجيب وجواهره الثمينة

## تمهيد

الشكر الجزيل للرب الذي بإرشاده ساعد على إعداد الدروس عن موضوع الجسد وأعضائه، عند إلقائها شفهياً في أثناء اجتماعات درس الكتاب، ومن ساعد على جمعها في مخطوطة أعدت للطبع في كتاب دعي ((الإناء العجيب وجواهره الثمينة)). إن هذا الإناء {الجسد الآني} الذي خلقه الله بحكمته، لهو عجيب، وإن قوى النفس والروح التي استودعها الله فيه لهي جواهر ثمينة.

وفي اعتقادي أن القارئ الذي يهتم بمطالعة فصول هذا الكتاب لابد أن يجد فيها لذة وفائدة لذاته، لأنه في كيانه تنطبق عليه هذه التسمية ((بإناء)) للرب الذي قال مرة شاول الطرسوسي ((هذا لي إناء مختار ليحمل اسمي)) (أعمال15:9 ). وبما أن الرب يسوع هو الذي خلقنا واشترانا بدمه الكريم فمن الواجب علينا كلنا أن نتمثل بشاول ونكون مكرسين للرب ونحمل اسمه في آنية حياتنا لكي يتم فينا الوصف الذي ذكره الرسول بولس في (2 تيموثاوس 21:2 ) بقوله: ((إن طهر أحد نفسه من هذه يكون إناء للكرامة مقدساً نافعاً للسيد مستعداً لكل عمل صالح)).

لي رجاء أن لا يستخف أحد منا بكيانه بل أن نجعل هذا الجسد وقوى النفس والروح فينا كلها آلات برّ للّه فتصبح حياتنا هيكلاً مقدساً للروح القدس، ونغدو مؤهلين لتلبس أرواحنا أخيراً الأجساد الممجدة التي تليق للوجود في حضرة الرب في السماء.

وحيث أني لم أقرأ كتابا يتناول دراسة شاملة عن موضوع الجسد الذي هو للرب، فقد جعلت المراجع هنا تقتصر على أقوال أسفار كتاب الله وذكرت الآيات المشيرة إلى للأعضاء في الجسد ووضعتها في آخر الكتاب الفريد بنوعه بين أيدي الأخوة والأخوات الأعزاء راجيا من كل قلبي أن يستخدمه الله لفائدتهم آيلاً لخير النفوس وتمجيد اسمه المبارك.

# نظرة جمالية إلى الجسد

((ألستم تعلمون أن أجسادكم هي أعضاء المسيح)) (1 كورنثوس 15:6 ) أثناء اجتماعات درس الكتاب في السنة الماضية اتخذنا بمعونة الله وإرشاد روحه القدس سلسلة من الدروس عن الجسد الإنساني وبعض أعضاءه وواجبات هذه الأعضاء. على أن الآيات الكثيرة في الكتاب ترينا أن الجسد نعيش فيه هو المسيح. والكلمة في (1 كورنثوس 27:12 ) تصرح بقولها ((وأما انتم فجسد المسيح وأعضاءه أفراداً)). فكل عضو فينا إذاً هو له لأنه هو الرأس الروحي الحي للجسد بكامل قواه. والأعضاء الجسدية فينا ترمز للعضوية الروحية في جسد الرب. والوحي الإلهي بفم الرسول بولس ينبهها لأهمية الجسد بقوله: ((أم لستم تعلمون أن جسدكم هو هيكل الروح القدس الذي فيكم الذي لكم من الله وأنكم لستم لأنفسكم لأنكم قد اشتريتم بثمن فمجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي من الله)) (كورنثوس 19:6 و20 ) وحسبما نستنتج من قول الوحي هذا تبدو لنا أهمية الجسد من عدة نواحي.

**من الناحية الأولى:** إن جسدنا ملك لله الذي خلقه بحكمة فائقة، ليس من جهة تركيبه المتقن العجيب فحسب، إنما من جهة الجواهر الثمينة والكنوز التي استودعها فيه وميزة بها عن باقي المخلوقات الأخرى في الدنيا، إذ يجعله بمثابة علبة أو إناء بديع الصنع. والجواهر التي يحتويها الجسد كثيرة: منها الروح الخالدة التي نفخها الله فيه كثروة عظيمة، ولولا تلك النفخة لبقي الإنسان كتلة من التراب لا قيمة لها. والبرهان على ذلك أن الروح الخالدة هذه عندما تنطلق من الجسد بالموت الطبيعي يصبح الجسد المادي مستحقاً المواراة عن الأعين، فيدفن ويبلى ويعود إلى عناصره المادية التي أخذ منها لأنه تراب وإلى التراب يعود ( تكوين3:19) وذلك بخلاف الروح التي تنتقل إلى مكان معين لها من الله لكي تتمتع بالراحة الوقتية أو بالعذاب، وتظل هنالك حتى يجيء الرب ثانية ويقيم الأجساد الراقدة في الأوقات المعينة حسب ترتيبه.

ومن كل الجواهر الثمينة في الكيان الإنساني النفس حية بكامل قواها. ومن القوى العظمى في النفس الضمير الذي هو آلة دقيقة تتجاوب مع الله فيصغي لصوته في الداخل. ونقدر أن نسمي الضمير ((رادار النفس)) لأنه يتلقى المعلومات من وحي الله. ولذا نجد الرسول بولس يهتم بتدريب نفسه ليكون له ضمير بلا عثرة من نحو الله والناس ( أعمال 16:24 ).

ومن القوى العظمى في النفس العقل المدرك الذي جهزه الخالق العظيم ليميز بين الخير والشر. وبه جعل الإنسان تحت مسؤولية كبرى تجاه خالقه وتجاه أوامره ووصاياه. ومن القوى التي استودعها

الله في النفس أيضاً الإرادة الحرة التي وهبها لإنسان لكي يختار ما يقدمه له من إنذارات لتحذيره من مخالفة الإرادة الإلهية كيلا يقع تحت الدينونة.

والإرادة لها مركز هام في الحياة، لأنها هي التي تعلن الاختيار وتنصح العقل ليقرر بقبول ما هو للخير وبرفض ما هو للشر. لذلك قال الله للإنسان: ((جعلت قدامك الموت والحياة. البركة واللعنة فاختر الحياة لكي تحيا)) (تثنية 19:30 ).

وبما أن للجسد هذه الأهمية بما يحتويه، كما رأينا، فكم من الخطأ الفظيع يرتكبه أولئك الملحدون الذين لا يعترفون بوجود الله وسلطانه ويؤهلون الطبيعة وينسبون كل شيء في الوجود لها، وليس من صنع الخالق العظيم.

لقد حصل مرة بحث بيني وبين طبيب مقتدر في علمه وثقافته ولكنه كان ملحداً لدرجة مفرطة. وأثناء البحث سألني قائلا أين هو الله أرني إياه. فقلت له يا دكتور هذا السؤال ينتظر أن يقدمه رجل جاهل وليس واحد مثلك متعلم. فالله ليس شيئاً مادياً حتى تراه بعينك أو تلمسه بيدك، لأنه روح مالئ الوجود. ولكن هل تقدر أن تريني ما هو بحوزتي أنت وفي كيانك ؟ أجاب: ما هو ؟ قلت له عقلك. أرني عقلك. أريد أن أريك عقلي بعملي. فقلت له: إن كنت لا تقدر أن تريني عقلك إلا بعملك، أفليس من الغريب أنك لا تقدر أن ترى الله بعمله خصوصاً في كيانك لأنك كإنسان فيك القوى العجيبة وتركيب أعضاء جسدك والأجهزة المنتظمة فيه التي تقوم بوظائفها بكل انسجام وتناسق مدهش. ألا يجدر بك أن ترى الخالق العظيم في ذاتك وتؤمن به ولا تكون مثل توما الذي قال له الرب ((لا تكن غير مؤمن بل مؤمناً)) (يوحنا 27:20).

وهنا تعود بي الذاكرة لحديث دار بين مبشر انجيلي وبين يهودي كان قد رجع من أوروبا إلى فلسطين ولكنه بلا إيمان البتة. تكلم المبشر معه عن الله فأجابه: إن ما تدعوه إلهاً ليس له وجود على الإطلاق. فقال له المبشر: يظهر لي أنك رجل شهير جداً لأنك ترائيت أمام عين النبي قديماً باعتقادك هذا الذي صرحت به. فقال اليهودي: كيف ذلك ؟

أجابه المبشر: إن النبي قبل مجيء المسيح بنحو ألف سنة ذكرك مرتين في (مزمور1:14وفي مزمور 1:53 )

بقوله عنك: ((قال الجاهل في قلبه ليس إله)). فأنت إذاً ذلك الذي عناه النبي لأنك ليس فقط بقلبك، بل بلسانك تقول ليس إله موجود. إني أنصحك أن تفتح قلبك للإيمان بالله الحي وأن تقبل الفادي يسوع لكي تنال خلاص نفسك.

**من الناحية الثانية**:إن أهمية الجسد تظهر بأن الله لم يوجدنا في هذا العالم الزائل لغاية وقتية، إنما أرادنا أن تكون أجسادنا أهلاً للخلود في الأبدية وليس أرواحنا فقط. فعند الموت لا يتلاشى الجسد ولا يفنى، كما تقول بدعة شهود يهوه وبدعة السبتيين، ولكنه يعود للحياة ثانية. وقد وصفه الوحي بفم الرسول بولس في ( 1 كورنثوس 42:15 _ 44 ) بقوله ((يزرع في فساد ويقام بعدم فساد. يزرع في هوان ويقام في مجد. يزرع في ضعف ويقام في قوة. يزرع جسماً روحانياً)). فالموت إذاً بكل قوته وسلطانه لا يستطيع أن يقضي على الجسد قضاء أبدياً ليحرمه من الحياة، لأن الرب يسوع عند مجيئه الثاني بمجده العظيم سيقيم الراقدين في القبور ((فيخرج الذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة)) (يوحنا5:29 ).

فأرواح الأبرار عندئذ تلبس أجساداً جديدة ممجدة تليق أن تكون مع الرب. وقد صرح الوحي الإلهي أيضاً في (كورثوس15:52 و53 ) بقوله: ((في لحظة في طرفة عين عند البوق الأخير. . . . سيبوق فيقام الأموات عديمي الفساد ونحن نتغير. لأن هذا الفاسد لابد أن يلبس عدم فساد وهذا المائت يلبس عدم موت)). أما أرواح الأشرار فستلبس أجسادها لتنال عقابها حسب عدل الله ودينونته النهائية. ويوضح ذلك في سفر الرؤيا في الإصحاح العشرين حيث يميز بين القيامة الأولى للأبرار وبين قيامة الأشرار الذين سيقامون للدينونة (رؤيا20:11 –15 ).

**ثالثاً**:إن أهمية الجسد تظهر أيضاً كما نستدل من قوة الآية المشار إليها في (1 كورونثوس6:19 و20 ) التي تعلن أن لله حق الملكية علينا ليس بكونه خالقنا فحسب إنما لأنه اشترانا بالفداء العجيب. والثمن الكريم الذي دفعه هو دمه ((اشتريتم بثمن)) وقد أوضح ذلك الرسول بطرس بقوله ((عالمين أنكم افتديتم لا بأشياء تفنى بفضة أو ذهب. . . . بل بدم كريم كما حمل بلا عيب ولا دنس دم المسيح)) (1بطرس 1:18 و19 ). وقد اشترانا إلهنا القدوس لنكون له ((شعب اقتناء)) وأشار بطرس الرسول لذلك في (ص2:9 ).

نعم أن الله خلقنا ولكن الخليقة الطبيعية فسدت بالسقوط بالخطيئة ولذلك أراد الله أن يستعيد خليقته روحياً من جديد. وفي نبوة أرميا يوضح هذا الأمر عن الإناء الذي فسد بيد الفخاري ولكنه أعاد جبله ثانية وصنع منه إناء جيداً. هكذا الله بالمسيح يسوع يجعلنا خليقة جديدة لأعمال صالحة قد سبق فأعدها لكي نسلك فيها (أفسس 2:10 ).

يقال أن رجلاً صنع قارباً من أجل تسليته باستعماله الخاص ولكن أحد الأثمة سرقه فحزن عليه صانعه كثيراً، وبعد مضي وقت وجد الرجل قاربه. ومن رغبته باقتنائه اشتراه ودفع ثمنه، وعندئذ قال:

أنا تكلفت على قاربي بصنعه وهاأنا الآن أعود لاقتنائه بالشراء. ومن هذا المثال البسيط نلاحظ أهمية مشترى الله لنا كما نصت الآية المقدسة في (1كورونثوس6:19 و20 ).

وبهذه المناسبة لابد لنا من الإطلاع على حقيقة هامة وهي أن الله لم يشتري أو يفتدي النفس وحدها ويترك الجسد للعالم وللخطية والهلاك،ولكنه اشترى الكل بالفداء، النفس والجسد معاً. والوحي في الرسالة إلى أهل رومية يؤكد لنا أن الفداء الروحي الذي حصلنا عليه لأنفسنا سيشمل أجسادنا أيضاً وسيفتديها الرب ويغيرها لأجساد جديدة وقت مجيئه. وهذا هو قول الوحي عنا: ((نحن الذي لنا باكورة الروح نحن أنفسنا أيضاً نئن في أنفسنا متوقعين التبني فداء أجسادنا)) ( رومية8:23 ). فيا لعظمة محبة الله وعنايته بنا بعمل نعمته المخلصة إذا جعلنا نحن البشر الذين سقطنا في الخطية وتدنسنا بالآثام،نصير خليقة روحية بالولادة الثنية بواسطة الإيمان الحي بربنا يسوع.

**رابعاً**: إن أهمية الجسد الذي نعيش فيه تظهر من ناحية أخرى حسب تصريح الآية السابقة الذكر (كورنثوس6:19و20 ) وذلك أن الله جعلنا هيكلاً مقدساً يسكنه بروحه القدوس. هذا هو الأمر العجيب بما عمله لأجلنا وفينا بقصد أن نكون ليس هيكلاً له فحسب إنما بقصد أن نمجده في حياتنا التي هي له حيث أن الآية تقول ((مجدوا الله في أجسادكم وفي أرواحكم التي هي من الله)).

فكم يجب علينا أن نحفظ حياتنا بكليتها للرب ولتمجيده بتقديمها مكرسة له حسب قول الآية في(رومية12:1) ((فأطلب إليكم أيها الأخوة برأفة الله أن تقدموا أجسادكم ذبيحة حية مقدسة مرضية عند الله عبادتكم العقلية)).

إننا من أخبار الإنجيل المقدس نعلم أن الرب يسوع اغتاظ جداً حينما وجد الهيكل المادي في أورشليم المكرس لعبادة الله قد دنس باستعمال اليهود له لغير الغاية المقدسة التي بني لأجلها، ولذلك نسج سوطاً من الحبال وطرد الجميع منه.

فإن كان بعمله هذا أرانا غيرته على ملكه و لم يطق أن يرى هيكله مدنساً بأعمال اليهود، ألا يرينا غيرته علينا نحن كهياكل روحية بشكل أشد من الغيرة على هيكل أورشليم. أليس من الضروري إذا نحذر من تدنيس حياتنا بتعاطي المسكرات مثلاً أو المخدرات والتدخين وأي شيء يضر بالصحة الجسدية، لأن كياننا بكامله لله.

وأي شيء يفسد الحياة هو بمثابة التخريب في ملك إلهنا. ولكي نحافظ على أعضاء جسدنا من أي فساد نجد الكلمة في (1كورونثوس 17:23) القائل إن كان أحد يفسد هيكل الله فسيفسده الله لأن هيكل الله مقدس الذي أنتم هو)).

وعلينا إذاً أن نأخذ هذا الإنذار بعين الاعتبار لكي نحافظ على حياتنا بكل قواها الجسدية والروحية من جميع الأدناس حتى لا نعرض ذواتنا للغضب والدينونة الرهيبة وتأديبات الله بشكل أقسى وأشد من ضرب السياط لليهود.

وإزاء تحذيرات الله وإنذاراته لنا، من واجبنا أن نعالج الجسد الطبيعي بما يلزم من الوسائل التي تضع حداً لميوله وأهدافه الدنيوية. لأن الإناء المختار بولس أوضح تأثير الجسد على ذاته حتى قال في (رومية 24:7) ((ويحي أنا الإنسان الشقي من ينقذني من جسد هذا الموت)). وحينما شكي آلام شوكة الجسد ورفع دعواه للرب ثلاث مرات أتاه الجواب ((تكفيك نعمتي لأن قوتي في الضعف تكمل)) (2كورونثوس 12: 8 و9). فلنتمثل به ونطلب النجدة من الرب وفي الوقت نفسه نستعمل بعض الطرق التي تعالج الجسد بها.

**الطريقة الأولى**: أن لا ننفذ له مطالب مشتهياته المقاومة للروح. وقد قالت الآية في (غلاطية 16:5و17) ((وإنما أقول اسلكوا بالروح ولا تكملوا شهوة الجسد. لأن الجسد يشتهي ضد الروح والروح ضد الجسد. وهذان يقاوم أحدهما الآخر حتى تفعلون ما لا تريدون)).

فوجود الجسد ومقاومته للروح يرينا وجود ضرتين في داخلنا مثل فننة وحنة الوارد ذكرهما في سفر صموئيل الأول. فالضرة فننة عندما قاومت حنة وإغاظتها بتعييرها لها لم تجد هذه سبيلاً إلا بالالتجاء إلى الله فصلت حنة صلاة حارة من قلبها وقد استجاب لها وأعطاها سؤل قلبها فحبلت وولدت صموئيل ونالت الغلبة على تجربتها. وهكذا نحن بقوة الرب نستطيع أن ننال النصرة على أعمال الجسد ونطبق قول الكلمة في (رومية 12:6) ((لا تملكنّ الخطية في جسدكم المائت لكي تطيعوها في شهواته. ولا تقدموا أعضاءكم آلات إثم للخطية بل قدموا ذواتكم لله كأحياء من الأموات وأعضاءكم آلات بر لله)).

**الطريقة الثانية** :هي أن نقمع الجسد ونستعبده حسب المثال ببولس نفسه إذ قال في (1كورونثوس27:9) ((أقمع جسدي واستعبده حتى بعد ما كرزت للآخرين لا أصير أنا نفسي مرفوضاً)). فالجسد في عناده أشبه بالحصان الجموح. والفارس القوي يكبح جماح حصانه ويخضعه بترويضه إياه لإتمام قصده. ونحن نستطيع أن نخضع الجسد الطبيعي بلجام كلمة الله القوي.

**الطريقة الثالثة**: هي أن نميت الجسد بإماتة الميول الأثيمة. والكلمة في (كولوسي 5:3) تقول ((أميتوا أعضاءكم التي على الأرض الزنى النجاسة الهوى الشهوة الردية الطمع الذي هو عبادة الأوثان)). وقالت أيضاً في (رومية11:6) ((احسبوا أنفسكم أمواتاً عن الخطية ولكن أحياء الله

بالمسيح يسوع ربنا)) أي أننا لا نسمح للخطية أن تجد فينا شعوراً حياً نحوها، نظير المرأة التي تجددت وتغيرت حياتها بالكلية. وعندما أتاها المجرب بقصد أن يستميلها إلى الخطية التي كانت تعيش فيها قبلاً قالت له أنت مخطئ إن المرأة التي تستهويها لقبول الإغراءات مثلما كنت تفعل سابقاً قد ماتت ودفنت والتي تتكلم معها الآن هي امرأة قامت من الموت بحياة جديدة ولا تبالي بكل ما يقدمه العالم من ملذات للجسد.

الطريقة الرابعة: هي صلب الجسد وتسميره على الصليب مع يسوع حيث نتمثل ببولس إذ قال ((مع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا فيّ)) (غلاطية20:2 )، وفي ( ص 24:5) يعرّف الذين للمسيح بقوله: ((الذين هم المسيح قد صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات)).

**الطريقة الخامسة**: هي أن نبرهن على عدم تنفيذ مطالب الجسد وعلى قمعه واستعباده وأمانته وصلبه، وذلك بالحياة الروحية التي نحياها. وقد أوضحها الكتاب بقوله ((أيها الأخوة نحن مدينون ليس للجسد لنعيش حسب الجسد. لأنه إن عشتم حسب الجسد فستموتون. ( رومية 12:8و13).

فالحياة التي نحياها الآن هي تبرهن على كوننا نحيا كجسدين بل كروحين وقد قال بولس في (كولوسي 3:1-3 ) ((إن كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق حيث المسيح جالس عن يمين الله. اهتموا بما فوق لا بما على الأرض. لأنكم قد متم وحياتكم مستترة مع المسيح في الله)). فإليه تعالى نتوسل أن يساعدنا لنتمم إرادته في حياتنا حتى تكون لنا شركة معه في حياته وأخيراً ننال شركة معه في مجده.

فبعد أن تناول بحثنا بصورة عامة الجسد الذي هو للمسيح كما نصت الآية في (كولوسي 17:2) ((أما الجسد فللمسيح)) يجدر بنا أن نتابع الدراسة عن أعضاء الجسد كل عضو بمفرده، باعتبار أن أعضاءنا كلها الرأس والأعين والآذان واللسان والفم والأيدي والأرجل والقلب هي أيضاً للمسيح، حتى نعرف ما هي واجبات هذه الأعضاء.

# الوجه

فيما سبق كان درسنا عن الجسد بصورة عامة ورأينا أنه للمسيح خالقنا، وأنه اشترانا وله حق التملك على كل القوى فينا، ورأينا أن الجسد مؤهل للخلود عندما يغيره الرب ويفتديه، وهذا يحملنا على عدم الاستهانة به، لأن الله يريد ظان يجعله لسكناه، وأن القوى التي فينا والأعضاء الداخلية والخارجية يريدها أن تكون مقدسة.

ونحن نعلم أن الرأس في الإنسان له أهمية كبرى لأنه يحتوي على عدد من الأعضاء الرئيسية. وإن كان الجسد كله للمسيح، كما مرّ معنا، فالرأس كذلك له. وإذا قام الرأس بكامل الأعضاء فيه حسب مطلب الرب يكون مستحقاً أن يلبس الإكليل. والكتاب يخبرنا في عدد من الآيات عن الإكليل المهيأة للمؤمنين، كإكليل البّر وإكليل الحياة وإكليل المجد. فالعضو الوحيد في الجسد الذي يكلل هو الرأس. ولهذا فأن المؤمن الحقيقي هو المؤهل رأسه للبس الإكليل الذي يهبه له الرب.

وأول عضو في الرأس نجعله موضوع تأملنا الآن هو الوجه، والحالة التي يجب أن يكون فيها وجه المؤمن كعضو في جسد المسيح، وكيف يجب أن يظهر أمام الناس.

على أننا قبل أن ننظر في الوجه الذي يتمثل فيه وجه المسيح يجب أن ننظر في دمامة وبشاعة وجوهنا التي شوهتها الخطية. نحن نعلم أن الله خلق كل شيء حسناً، وبدون شك أن رأس الخليقة الإنسان قد خلقه على صورته وشبهه بشكل بديع ولكن حينما سقط أبوانا في الخطية نزعت عنهما الصورة الجميلة وكانا خجلين وغير قادرين أن يظهرا أمام الله في تلك الحالة المدنسة بخطية المعصية.

يحكى عن مصور ماهر بفنه خطر بباله مرة أن يصور وجهاً يكون بغاية الجمال بقصد أن يطبع الصورة على بطاقات، فيكون لها القبول عند الناس ويحفظونها في بيوتهم. وهذه الفكرة جعلته يجول في المدن وينظر في وجوه الناس ليصل إلى ضالته المنشودة. وحينما وقع نظره على رجل بديع الخلقة وغاية في الجمال وليس فيه عيب البتة، طلب إليه أن يصوره فسمح له بذلك.

على أنه بعد مضي وقت خطر بباله ثانية أن يصور وجهاً آخر بشعاً جداً لكي يضع الصورة بجانب الصورة الجميلة فيرى الناس الفرق الكبير. وتنفيذاً لهذه الفكرة جال مرة أخرى لكي يعثر على وجه شنيع بالمرة ليصوره، وإذ وجد شخصاً تمثلت في وجهه القباحة الكلية أتى إليه وطلب أن يسمح له بتصويره. فقال له الرجل:وماذا تجد في صورتي الا كل بشاعة يكره الناس أن يروها. كان لك الحق أن تصورني قبل بضع سنين، أما الآن فلا شيء في هيئتي يستحق أن يرسم على ورق. وقف المصور

مندهشاً مما سمع وقال للرجل: هل أنت هو الرجل الجميل الصورة، وصورتك أنا. وما حدث لك حتى تغيرت لهذا الشكل الوحش؟ أجابه: إن الخطيئة وما ارتكبته من ادناس في إعمالي أوصلتني لهذه الحالة التي أنا فيها الآن. فالخطيئة إذاً هي التي نزعت منا (نحن) صورة القداسة الجميلة، وطبعت على وجوهنا مظاهر القباحة والعيوب بنظر الله. ولذلك كلما تقابلنا مع كلمة الله التي هي كمرآة نقية للنفس نرى شناعة وجوهنا المسوّدة حسب الطبيعة، ونحن نقرّ بواقع حياتنا بالإضافة لما ترينا إياه الكلمة المقدسة. ومصيبة الكثيرين من الناس انهم لا يريدون أن يروا ذواتهم كما هم في الخطيئة بقباحة الصورة بنظر الله. وبذلك يشبهون الزعيمة الإفريقية التي لم تكن قد رأت وجهها قط لان لا مرآة عندها. وحينما قابلها أحد السياح من أوروبا، وبقصد استرضائها لكي تسمح له بالتجول في البلاد، قدم لها هدايا ثمينة ومن بينها مرآة جيدة. بعد وقت أخذت الزعيمة الهدايا وتفقدت كل واحدة منها ومن جملتها المرآة ونظرة فيها هيئتها. ويا لدهشتها اذا رأت وجهها كما هو بكل ما فيه من قباحة وشناعة فضربت المرآة بالأرض وسحقتها وقالت: أولئك الأجانب يريدون أن يرونا ذواتنا وحشيين وقبيحي الوجوه. ومثل هذه المرآة لا يريد بعض الناس أن يروا ذواتهم في مرآة كلمة الله التي تكشف كل العيوب في النفس.

ومن الخطأ أن يلجأ الناس لوسائط التجميل والتصنع بالمساحيق وسواها، لأنه ليس من واسطة تعطي الحياة نقاوة وجمالاً لتعيد لنا الصورة الجميلة التي خسرناها وتجعل وجوهنا تظهر جميلة بنظر الله إلا بما أعده الله لنا وهو الخلاص الذي منحنا إياه بنعمته. وقد قال المرنم في (مزمور 4:149) ((لان الرب راض عن شعبه. يجمل الو دعاء بالخلاص)). فبالخليقة الجديدة الروحية بالإيمان بيسوع الفادي الحبيب يجعلنا الله كما تقول كلمته في(رومية 29:8 ) ((مشابهين صورة ابنه)). فيا لها من نعمة سماوية تحدث التغيير العجيب في نفوسنا لتصبح خليقة روحية بحياة جديدة, وعندئذ لا نحاول أن نخفي ذواتنا عن عين الله كما فعل أبوانا قديما إنما ينطبق فينا قول المرنم في (مزمور 5:34) ((نظروا إليه واستناروا ووجهم لم تخجل)). فإلهنا القدوس من فرط محبته لنا قد غسلنا بدم الفداء من كل أقذار الحياة، وصالحنا مع ذاته وصيرنا أحباء له بدل العداوة،وحقق لنا الوعد القائل ((انو كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج. إن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف)) (اشعياء 18:1)، وقد ملأ قلوبنا بالرجاء والطمأنينة بقوله ((أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا اذكرها)) (أشعيا 25:43). فعمل الله فينا يجعلنا كما تصرح الآية في (2 كورنثوس 18:3) بقولها ((ونحن جميعا ناظرين مجد الرب بوجه مكشوف كما في مرآة نتغير إلى تلك الصورة عينها من مجد إلى مجد كما من الرب الروح)). وبهذا التغيير الذي يحدثه الله في نفوسنا يمكن أن تظهر وجوهنا نشكل لائق كما للمسيح.

**أولاً**: إن يظهر وجه المؤمن بحالة لامعة نتيجة لوجوده يتقابل مع الرب بالصلاة، نظير وجه موسى على اثر مقابلته لمجد الله على الجبل كما نقرأ عن ذلك في (خروج13:34). فوجه موسى حينما ظهر أمام الشعب كان لامعاً من إشراقة مجد الرب عليه. واضطر أن برقعاً لكي يتمكن الناس من النظر إليه. ونحن كمؤمنين يجب أن نصرف وقتاً كل يوم على جبل الشركة مع الله بالصلاة لكي تنعكس أشعة نوره على حياتنا وتجعل وجهنا مشرقاً تشع منه المحبة المسيحية ويلمع بالبشاشة والمحيا الطلق وليس بالعبوسة والغضب والكشرة. قد يظن البعض أن المؤمنين ينبغي أن يكونوا كالحي الوجوه، ولكن الحقيقة أن وجه المؤمن يكون مبتسماً ليكشف عن القلب المملوء من الفرح بالرب والسلام. والآية في (أمثال 13:15) تقول ((القلب الفرحان يجعل الوجه طلقاً)) وأي فرح يماثل فرحنا بالرب الذي يجعل وجهنا يعبر عن وجوده في حياتنا. فعلينا إذاً أن نتابع الدراسة لا قوال الله ونصرف أوقاتاً كافية بالصلاة حيث نتقابل مع الرب لكي يضع على حياتنا طابعاً خاصاً من حياته، لأننا نعلم أن الذي يعرض ذاته للشمس كل يوم تضع أشعة الشمس أثراً ظاهراً على بشرته. وقد قيل في (نشيد 6:1) ((الشمس قد لوّحتني))، وعلى هذا الشكل مقابلتنا مع شمس البر يسوع تضع على نفوسنا سمة القداسة من قداسته.

**ثانياً**: أن يظهر الوجه الذي للمسيح في المؤمن بهيئة يصح أن يقال عنها ملائكية كنتيجة للامتلاء من الروح القدس. لأننا نقرا عن الشهيد الأول استفانوس، الذي ليس فقط كان مملوءا من روح الله. ولذلك يقول الكتاب عنه في 0اعمال (15:69 ) ((رأوا وجهه كأنه وجه ملاك)). بالرغم من الظروف الخطرة التي كان فيها، ومقاومة الشعب له، والحجارة تنهال عليه لرجمه، فان وجود روح الله فيه جعله يتراءى لآخرين كأنه ملاك بل انه بمساحته لقاتليه تمثل بسيده الرب يسوع. ونحن كمؤمنين يجب أن نفتح قلوبنا لهذا الروح لكي يملأنا من قداسته حتى نظهر كأشخاص سماويين وان كنا في العالم الشرير. رأيت مرة فوق باب معبد إطاراً مكتوباً في داخله، خلف لوح من الزجاج، اسم الجلالة ((الله)) بحرف كبير وكانت العبارة متصلة بسلك كهربائي يجعلها تضيء في الظلمة. فأعجبت بهذه الفكرة. وتراءى لي أن القصد منها إعلان وجود الله في مكان العبادة. وكم يجب أن يكون بيننا وبين إلهنا المبارك سلك روحه الكهربائي ليظهر اسم الله على حياتنا مهما كان الظلام الذي يحيط بنا في العالم كثيفاً.

**ثالثاً**: أن يظهر وجه الذي للمسيح في المؤمن مرسومة عليه آية الثقة الوطيدة في الحياة، إعلاناً لليقين الحي المؤسس على الخلاص والتبرير ببر الفادي، وإظهاراً للطمأنينة بأن الرب معه وفيه لا يتركه بل يعتني به ويحفظه من الشدائد والضيقات التي تحاربه. والأحرى بنا أن نصغي للكلمة التي تقول ((لا تطرحوا ثقتكم التي لها مجازاة عظيمة)). (عبرانيين 35:20 ).

يقال أن لوثيروس المصلح الشهير اشتدت عليه الصعوبات في وقت من الأوقات، وظهر بمظهر المغموم التضايق من هول المأزق الحرج الذي خشي أن يزج به. وإذا لاحظت امرأته المؤمنة ذلك الوضع المريب، ما كان منها إلا استعمال الحكمة بشكل ملموس لتعيد لزوجتها ثقته بالرب. ففي أثناء غيابه عن البيت وضعت الستائر السوداء على الصور والآيات والرسوم في البيت، مما يدل على شدة الحزن بوفاة فقيد عزيز جداً. وعندما رجع زوجها إلى البيت ورأى السواد يجلل كل الأشياء، أخذه الذهول وسأل: من مات وما سبب هذا الحزن الشديد؟ فأجابت: إن الذي مات هو أعز ما يكون عندنا وموضوع رجاءنا. هو الله نفسه الذي يجب أن نحزن الحزن المفرط على موته. وبكل دهشة وحيرة سأل لوثيروس امرأته: ماذا حدث لك ؟ هل فيك مس من الجنون؟ هل يموت الله ؟ فقالت له: أنا أعلم أن الله لا يموت، ولكن إذا كنت تتأكد كذلك لعدم موته فلماذا أنت مضطرب وقلق ووجهك مكمد وفاقد الرجاء بعنايته ولا تثق بالقوة التي تعطيك الغلبة على كل صعوبة ومحنة تجتازها. عندئذ شكرها واتخذ من حكمتها بهذا الأسلوب الرائع عبرة أزالت من أفكاره كل انزعاج وخوف، وتشدد بيقينه بالرب وبقوته التي لا تفشل.

هكذا نحن كمؤمنين يجب أن نكون أقوياء بالرب. وما أحرانا أن نترنم مع ناظم الترنيمة القائلة:

إن أصابتني الرزايا وانتفى عني الرفيق
وأحاطت بي البلايا واختفى عني الصديق
فيسوع الرب نوري وضيائي في الظلام
وهو حظي سروري وهو شمسي والسلام

وكم يجدر بنا أن نتمثل بربنا يسوع الذي قيل عنه ((ثَبَّتَ وجهه لينطلق إلى أورشليم))( لوقا 51:9 و53). فكما فعل هو بذهابه إلى أورشليم ليتحمل كل شيء حتى الصليب وآلامه المعيب، هكذا نحن مهما كان أمامنا من تجارب ومضيقات في العالم فعلينا أن نثبت وجهنا لتحمل كل شيء في سبيل إتمام مشيئة إلهنا. ومثلما ثبت وجهه لينطلق إلى أورشليم ينبغي أن يثبت كل واحد منا وجهه ليكون انطلاقنا ليس لأورشليم الأرضية، إنما إلى أورشليم السماوية التي ننتظرها من أجل التمتع بالمجد مع الفادي الذي أحرز النصر بموته وقيامته وصعوده. وعلى قياس عمله يجب أن نموت نحن عن الخطية لنقوم معه ونحيا حياة جديدة وتتعلق نفوسنا به بشركة روحية معه لا تنفصم.

**رابعاً**: أن يظهر وجه الذي للمسيح حاملاً السمة المعينة من الله التي تعلن كون المؤمن مكرساً للرب، لأنه وهو في هذا العالم يجب أن تطبع على جبهته سمة التخصص للفادي المجيد.

فالوحي في نبوة ( حزقيال ص9 ) يحدثنا عن صدور الأمر الإلهي للرجل المكلف بالقضاء على أفراد الشعب الذين يعيشون الفساد والرجاسات. وأنه قبل تنفيذ القضاء نقرأ في عدد 4 هكذا ((قال له الرب اعبر في وسط المدينة في وسط أورشليم وسم سمة على جباه الرجال الذين يئنون ويتنهدون على كل الرجاسات المصنوعة في وسطها)). وللذين في يدهم العدة الساحقة نسمعه أيضاً في عددي 5،6 يقول: ((اعبروا في المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا. الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسان عليه السمة وابتدئوا من مقدسي)). فمن كلمة الرب هذه نستنتج أن الهلاك محتوم به من قبل الله بمقتضى عدله وكراهيته للخطية ولكنه له المجد، من أجل رحمته، نراه يعطي الفرصة لكل الذين في المدينة " أي مدينة هذا العالم الذي نعيش فيه" الفرصة بإصدار أمره لوضع السمة على جباه الأشخاص الذي يخافونه وتتألم نفوسهم من جرّاء الشرور والمعاصي التي يرتكبها الناس غير مبالين بأحكامه تعالى وغير مكترثين بالوعيد في يوم الدينونة الآتي.

على أن الرب، تبارك اسمه، يعلن بكلمته أنه حينما يأتي الوقت للهلاك تكون النجاة لحاملي السمة على جباههم مؤكدة ومضمونة. فالشكر لله من أجل هذه الفرصة التي كمؤمنين بالمسيح حيث نقبل السمة الخاصة على جباهنا، سمة القداسة، وننفصل عن الذين يعيشون في الخطيئة ولا نشترك معهم في طرق آثامهم. فالتمييز بين الذين للهلاك وبين الذين للنجاة يبتدئ هنا في هذه الحياة. فلنفرح بإلهنا الذي نقلنا من الظلمة إلى النور ومنحنا هبة الخلاص ووضع على نفوسنا السمة الخاصة بختم الروح القدس.

وبناء على هذه السمة التي نحملها بعمل النعمة فينا يحصل في النهاية التمييز عند مجيء الرب بين الراقدين: فكراقدين على رجاء القيامة، يقيمنا عند صوت البوق إلى القيامة الأولى، بينما يظل كل الذين لم يقبلوا الخلاص في رقادهم إلى أن يقاموا فيما بعد للدينونة. وكذلك التمييز بين الأحياء على الأرض: فكمخلصين بالنعمة ومستعدين لمجيء الرب كما يليق، فسيدنا المبارك يميزنا بالاختطاف إليه من وجه الضيق الآتي، بينما يظل كل الباقون تحت حكم الوحش والنبي الكذاب. فهؤلاء كما نقرأ في (رؤيا 3:7 و1:14) يضطرون لحمل سمة الوحش على جباههم ويجتازون الضيقة العظيمة وضربات الله الشديدة. فمن الرب نلتمس أن يثبتنا في ذاته ويجعل حياتنا تحمل باستمرار سمة القداسة فنقول كما قال بولس عن نفسه: ((في ما بعد لا يجلب أحد عليّ أتعاباً لأني حامل في جسدي سمات الرب يسوع)) (غلاطية17:6).

**خامساً**: أن يظهر الوجه الذي للمسيح بإشراقة من وجه المسيح نفسه. وذلك يحذرنا كمؤمنين من غرور الدنيا ولا نسمح لها أن تحول بيننا وبين ربنا المجيد. لأننا من الطبيعة نعلم أن القمر الذي ينير

الكون، إذا حالت الكرة الأرضية بينه وبين الشمس يحجب عنه نورها فيحصل الخسوف. فعلينا إذاً أن لا نسمح لغرور الدنيا أن تحجب عن حياتنا نور الرب يسوع، لئلا يصبح النور الذي فينا ظلاماً.

حينما كانت الأشياء العلمية عن الفلك غير معروفة عند العامة كان البسطاء يحسبون أن خسوف القمر يحصل بابتلاع الحوت له، فيطبلون ويضربون على الصفيح ويقولون: يا حوت أترك قمرنا. . . . حقاً هذه خرافة تملكت عقول الجهلاء ولكن فيها لنا عبرة، وهي أننا كمؤمنين عندما نظهر بحالة لا تتفق مع انتسابنا للمسيح كإنجيليين، ولا يرى الناس فينا الحياة المسيحية في سلوكنا وتصرفنا، عندئذ يطبلون ويزمرون ويشهرون ادعاءنا الإنجيلي ومزاعم إيماننا ورسالتنا.

فليحفظنا إلهنا القدير بعمل روحه لنكون شهوداً له بحياة تظهر ثمر الإيمان الحي فينا لكي نمجد اسمه القدوس.

# العين

في الدرس السابق كان الكلام عما أحدث الله من تغيير ظاهر في حياة المؤمن وتجديده كخليقة روحية يستعيد بها الصورة الجميلة بعد تشويهها بالخطيئة. وبعد ذكر الأمثلة عن الوجه الطافح بالبشر والسلام مع الثقة بالمواعيد الإلهية وغير ذلك من التشابيه، نأتي للدرس عن العين في الجسد.

العين هي العضو الذي وضعه الله في الجسد أداةً ثمينة لننظر بها ونرى ما يجب أن نراه. والرب يسوع نبهنا لأهمية العين بقوله في (لوقا 34:11 و35) ((سراج الجسد هو العين. فمتى كانت عينك بسيطة فجسدك كله يكون نيراً. ومتى كانت شريرة فجسدك يكون مظلماً. أنظر إذاً لئلا يكون النور الذي فيك ظلمة)).

ولو سألتك، أيها القارئ العزيز، كم عين خلق الله للإنسان لأجبت فوراً عينان. طبعاً هذا الجواب الصحيح. ولكن اسمح لي أن أقول أن العينين في الجسد خلقتا لرؤية الأشياء المنظورة فقط، أما غير المنظورة فلها عين ثالثة. وهذه العين الروحية المخلوقة من جديد في المؤمن هي عين الإيمان التي بها نرى ما لا نرى بالعين الطبيعية. وقد صرحت الكلمة في (2كورونثوس18:4) قائلة ((نحن غير ناظرين إلى الأشياء التي ترى بل التي لا ترى. لأن التي ترى وقتية وأما التي لا ترى فأبدية)).

لقد أخطأ توما الرسول لأنه اعتمد على عينيه الطبيعيتين ليتأكد الخبر الذي سمعه عن قيامة المسيح، لذلك قال: ((إن لم أبصر في يديه أثر المسامير. . . . لا أؤمن)). (يوحنا 25:20). وحينما ظهر الرب مرة ثانية للتلاميذ وتوما معهم نسمعه يلومه لاعتماده على عين الجسد وعدم استعماله لعين الإيمان. وقد طوّب الرب الذين يرون بهذه العين الروحية (عين الإيمان).

فإن كان الإنسان يشتاق أن يرى في عينيه الشخص الذي يحبه وينظر إلى ما هو جميل وجذاب، ألا يجب علينا كمؤمنين أن نكون دائماً ((ناظرين إلى رئيس الإيمان ومكمله يسوع)). (عبرانيين 2:12). وأن نقول مع المرنم ((واحدة سألت من الرب وإياه ألتمس. أن أسكن في بيت الرب كل أيام حياتي لكي أنظر إلى جمال الرب)) (مزمور4:27 ). فالرب يسوع هو ((مشتهى كل الأمم)). ولعروسه الكنيسة ((كل المشتهيات)) (نشيد6:5). وما أحسن أن نقول مع المرنم في (مزمور2:123). ((كما أن عيون العبيد نحو أيدي أسيادهم. . . . هكذا عيوننا نحو الرب إلهنا حتى يترأف علينا)). ولذا يستحق فادينا المجيد أن يكون في قلوبنا دافع المحبة له لكي نراه بإيماننا كما قال الرسول بطرس عنه ((الذي وإن لم تروه تحبونه. ذلك وإن كنتم لا ترونه الآن لكن تؤمنون به فتبتهجون بفرح لا ينطق به ومجيد. نائلين غاية إيمانكم خلاص نفوسكم)). (1بطرس8:1و9).

فأشواقنا لشخصه المبارك تعبر عنه لشخصه المبارك تعبر عنه بما قال الرسول بولس في ( 1كورونثوس 13:12) ((إننا ننظر الآن في مرآة في لغز لكن حينئذٍ وجهاً لوجه)).

يخبرنا الإنجيل المقدس في (يوحنا20:12و21) عن اليونانيين حينما ذهبوا إلى أورشليم في العيد، أنهم لم يهتموا برؤية المدينة العظيمة وقصورها الشامخة، و لم يهتموا برؤية الهيكل المقدس، ولا بمراسيم العيد الكبير، ولا بذبائح التكفير، ولا برؤية رؤساء الكهنة، ولكن اهتمامهم كان محصوراً برؤية يسوع، ولذلك ذهبوا إلى التلميذ فيلبس وقالوا له ((يا سيد نريد أن نرى يسوع)).

تعيّن واعظ لاهوتي شهير لرعاية إحدى الكنائس وكان بوعظه يستعمل الآراء الفلسفية في الدين والأشياء العلمية ببلاغة الخطابة، الأمر الذي لم يشبع نفوس الأعضاء المشتاقة ليسوع بالوعظ منه. وذات يوم من الأيام كتب واحد من الأعضاء الآية هذه ((يا سيد نريد أن نرى يسوع)). ووضعها على النبر قبل أن يأتي الراعي. وحينما أتى ورأى الآية أخذ الورقة معه إلى مكتبه وكانت رسالة من الروح القدس لقلبه فغيّر أسلوبه العلمي في عظاته بأسلوب روحي عن يسوع. وبعد مدة من الزمن وجد الواعظ آية أخرى على المنبر وهي من (يوحنا20:20) القائلة ((ففرح التلاميذ إذ رأوا الرب)).

ألا يجب أن تشتاق نفوسنا دائماً لننظر إلى سيدنا المبارك بعين إيماننا لكي نرى فيه المحبة العجيبة والرحمة الغافرة والنعمة المجانية المخلصة؟

ألا يجب أن نراه مصلوباً يتحمل آلام الموت من أجل التكفير عن خطايانا وتبريرنا أمام العدل الإلهي؟ ألا يجب أن نرى فيه الشخص الحي المنتصر على الموت بقيامته والشفيع العظيم القائم عن يمين الآب، والمحب الحقيقي الذي لا يزال يهتم بنا ويعد لنا الأماكن في السماء لكي يأخذنا إليه عند مجيئه بالمجد؟ هو الذي من فرط محبته لخليقته الإنسانية يقول ((التفتوا إليَّ واخلصوا يا جميع أقاصي الأرض لأني أنا الله وليس آخر)). (أشعياء 22:45). والكتاب المقدس إذ يوضح لنا فعل النظر إليه بعين الإيمان يؤكد أن نظرة واحدة من الملدوغين بالحيات السامّة قتلت قوة السم المميتة فيهم. وتلك الحادثة اتخذها الرب يسوع رمزاً له بارتفاعه على خشبة الصليب ليكون للمؤمن النجاة من سم الحيّة القديمة–الخطية– بمجرد نظرة واحدة إليه بعين الإيمان.

وقد صرح بذلك في (يوحنا 14:3و15). بقوله ((كما رفع موسى الحية في البرية هكذا ينبغي أن يرفع ابن الإنسان لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية)).

وفي درسنا عن العين وضرورة رؤيتنا للرب يسوع نلاحظ وجود بعض العوائق التي تحول دون رؤيتنا له.

العائق الأول: النقص الطبيعي فينا أي العمى. ونحن نشبه ابن طيما على طريق أريحا الذي كان يصرخ ((يا يسوع ابن داود ارحمني)). وعندما أُتيَ به إلى الرب قال له ((اذهب إيمانك قد شفاك. فللوقت أبصر وتبع يسوع)). (مرقس 10:47-52 ). لم يكن بإمكان ذلك الرجل أن يرى يسوع وهو أعمى. ولكن بعدما وهبه السيد البصر، استطاع أن يراه ويعرفه ويؤمن به ويتبعه للشهادة له. هكذا نحن، عندما يجعلنا الرب خليقة جديدة بأعين روحية، نستطيع أن نراه في مجده ونشهد له. فأن كنت أيها الرب يسوع لأنه أتى لينادي للمأسورين بالإطلاق وللعمي بالبصر( لوقا4:18). إياك أن تجعل أي عائق في نفسك يحرمك من رؤية المخلص.

العائق الثاني: المرض المسمَّى الماء الزرقاء أو السوداء، وهذا يجعل غشاوة على العين ويحجب عنها المناظر التي تريد أن تتمتع بمشاهدتها. وما أكثر أمثال هذا المرض في النفوس التي أصيبت به بسبب غشاوة الدنيا السوداء والأمور العالمية التي تحجب عنهم نور الحياة. وكما أن الطب صار يعالج مرض الأعين هذا فالطبيب السماوي هو القادر بقوة خلاصه أن يزيل ظلمة الخطية وغشاوة العالم عن عين النفس. وما على المصاب بمثل هذا المرض إلا أن يقول للرب ((أكشف عن عينيّ فأرى عجائب من شريعتك)). ( مزمور 119:18).

العائق الثالث: سيطرة الشيطان الشريرة على عين النفس لأنها تحجب أمجاد الرب يسوع عنها. وقد أوضح ذلك الرسول بولس في (2كورنثوس 4:4) بقوله ((إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح الذي هو صورة الله)). حقاً إن هذا العدو يعمل بلا انقطاع في كثيرين من الناس ليبقيهم بعيدين عن الإنجيل لكي يظلوا في قبضة يده فريسة للهلاك معه. وكثيراً ما يلهيهم بتوجيه أفكارهم إلى خرافات والأوهام والأضاليل والبدع والإلحاد لئلا يأتوا إلى المسيح وينالوا به الخلاص والحرية من عبودية الخطية والعالم ورئيس العالم.

# نظارات إبليس

بعدما تأملنا بالأشياء التي تعيق عين النفس عن رؤية الرب وبالطريقة التي بها يزيل الرب العائق، نريد أن ننظر في التحذيرات الضرورية للمؤمنين من لبس النظارات التي يقدمها إبليس. هل تعلم أيها القارئ العزيز أن الشيطان عنده مصنع شهير لصنع أنواع من النظارات لخداع من يلبسها لكي يجعله بواسطتها يرى الأشياء كما يريده هذا العدو أن يراها.

وأول نظارة التي ألبسها إبليس لأمنا حواء وجعلها ترى بعينها الثمرة الممنوع الأكل منها كأنها أجمل وأشهى من كل الأنواع في الجنة. فأخذت وأكلت مع آدم وكانت التجربة السقوط في المعصية.

ألا يزال الشيطان على هذا الشكل يحلي لعين الإنسان الأشياء الممنوعة بقصد أن يصطاده بفخه بواسطة نظارات مشتهيات الجسد؟

والكتاب يحدثنا عن داود النبي عندما ارتكب خطيته الشنيعة مع بشبع، مما يؤكد لنا أن إبليس ألبسه نظاراته وجعل امرأة جنديه الأمين أوريا أجمل بنظره من العشرات من نسائه المعدودات الجميلات.

قد تكون امرأة حسنة المنظر، ولكن الشيطان يلبسه نظارة الشهوة الأثيمة لارتكابه الخطية مع امرأة أخرى يحليها إبليس بنظرة مع أنها لا تكون أجمل امرأته. وكما بفعل إبليس مثل هذا بالرجل يفعله بالمرأة حينما تلبس نظارات الشهوة الرديئة.

ومن أنواع نظارات إبليس تلك التي للحسد. وأينما رأينا واحداً تتحرق نفسه في داخله كآكلة بشعور شرير فيشتهي ما يتمتع به سواه من الناس نعلم أن هنالك نظارات إبليس قد لبسها الحسود.

ومن أنواع النظارات ما هو للكبرياء. وما أكثر الأشخاص اللابسين أمثال هذه النظارات فيتعاظمون ويمجدون ذواتهم ويحتقرون سواهم. أليست نظارة الكبرياء هي التي أغوت آدم وحواء ليكونا مثل الله؟ ألم يلبس الفريسي نظارات الكبرياء حينما نظر باحتقار إلى العشار؟ والوحي يندد بالكبرياء المكروهة عند الرب، ففي (أمثال17:6) يقول ظان العيون المتعالية يكرهها الرب. وخوفاً من الوقوع بهذه الخطية يدعونا الرب للتمثل به في التواضع والوداعة. وكما أنه رفض أن يلبس النظارات من إبليس عند التجربة حينما أراد أن يغريه بالنظر إلى ممالك العالم ومجدها، هكذا يريدنا أن نحذر من غرور الدنيا وأن نجعل أنظارنا تتجه إليه في الأمجاد السماوية فنطلب ما فوق ونهتم بما فوق (كولوسي3:1و2).

ومن أنواع النظارات أيضاً ما هي للتعصب الأعمى الذميم، إذ أن المتعصب المتزمت ينظر إلى نظرة الاحتقار والمذمة لمن لا يتفق معه على مبدئه ومعتقده. ومن هذا النوع نظارات التحزبات الجنسية والطائفية. والواقع يرينا ما هو حاصل في أماكن كثيرة بسبب قضايا الألوان، حيث ينظر الأبيض للأسود أو للأصفر، أو حيث ينظر الغربي للشرقي نظرة الترفع، لأنه ليس من لونه أو من بلاده. ومن أنواعها تلك التي تغري الإنسان حينما ينظر على الأشياء المعروضة في سوق هذا العالم المغري الذي سماه كاتب سياحة المسيحي ((سوق الأباطيل)) فينجذب الإنسان للحصول عليها لإشباع نهم مشتهيات جسده.

حقاً أنه يوجد أشياء كثيرة تضطر المؤمن أن يفكر بقول الرب في (متى5:29) ((إن كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها)). ربما يقول البعض: أن في هذا القول فيه مبالغة، ولكن الحقيقة أنه ينطبق حرفياً، إذ أنه حينما تصاب العين، أو أي عضو آخر في الجسم بمرض خطر، يضطر الشخص أن يترع ذلك العضو خوفاً أن تنتج الخسارة لبقية الأعضاء في الجسد. وهكذا بالمعنى الروحي نحتاج أن نتأمل بالخسارة الكبرى في الحياة إذا سمحنا للعضو فينا أن يعثرنا.

# الصفات اللائقة بعين المؤمن

في درسنا عن العين في الجسد الذي للمسيح نريد أن نتأمل في الصفات اللائقة التي نتحلى بهـــا وهي:

أولاً: أن تكون للعين نظرة داخلية عميقة في الحياة ذاتها لكي ترى الخطية والحاجة إلى المغفـــرة بالالتجاء إلى رحمة الرب. ماذا كان السبب في عدم تبرير الفريسي وهو يمثل أمـــام الله ويـــصلي في الهيكل؟ السبب في ذلك أنه لم يرى ذاته كخاطئ يحتاج لرحمة الرب الغافرة، وكان بعكس العـــشار الذي رأى في نفسه الخطية فقرع على صدره، وقال ((اللهم ارحمني أنا الخاطئ)) ولـــذلك حـــصل التبرير.

فهل رأيت ذاتك، أيها القارئ، كخاطئ وأتيت للرب معترفاً بآثامك، وبتوبة حقيقية وبالإيمان بالمخلص المستعد أن يخلص إلى التمام كما تنص الآية في (عبرانين7:25).

كم من الفريسين اليوم خصوصاً بين المدعوين إنجيلين الذين يكتفون بالاسم الإنجيلي كطائفـــة ولا يرون حاجتهم إلى المغفرة وتطهير قلوبهم، ولا يرون حاجتهم إلى للتجديد والولادة الثانية وحيـــاة القداسة.

وكم من الذين يدّعون أنهم قبلوا الخلاص بالإيمان ولكنهم في الوقت ذاته لا يبرهنـــون علـــى قبولهم الخلاص بإيمان له ثمر الأعمال الصالحة. والرسول يعقوب يصرح بأن الإيمان بلا عمل ميت ولا روح فيه.

ثانياً: أن تكون العين في الجسد الذي للمسيح عيناً باكية، أي أن الإنسان، نتيجـــة للتبكيـــت بروح الله على الخطية، يتقدم بدموع التربة والاعتراف للرب بكل هفوة وزلة لكي يمحو الرب والآثام والذنوب حسب وعده القائل ((أنا أنا هو الماحي ذنوبك لأجل نفسي وخطاياك لا أذكرها)) (أشعياء 25:43). مثل هذه العين الباكية نراها في بطرس الذي تبكت على خطية إنكاره للـــسيد وتقـــدم بدموع التوبة ((خرج إلى الخارج وبكى بكاء مراً))(متى 75:26). ومثل هذه العين الباكية نراها في تلك المرأة الخاطئة التي أتت إلى الرب يسوع وبلّت قدميه بدموعها، وكانت النتيجة لتوبتها الـــصادقة أن الرب منحها المغفرة وقال لها ((مغفورة لك خطاياك. . . . إيمانك قد خلصك. اذهبي بـــسلام)) (لوقا 7:48و50). فهل نلت هذه المغفرة والسلام أيها القارئ لكي تصبح عضواً حيـــاً في الجـــسد الذي للمسيح.

ثالثاً: أن العين في جسد المؤمن يجب أن تكون ساهرة. كم كان توبيخ الرب للتلاميذ عنيفاً لأنهم لم يسهروا معه وكم أوصي بتعاليمه عن السهر ((اسهروا وصلوا لئلا تدخلوا في تجربة))(متى 41:26). فالسهر لعين المؤمن ضروري جداً لأن الاستسلام للنوم الروحي ينتج عنه الخطر للنفس بسبب وجود العدو التربص للأذية. لهذا نجد الرسول بطرس يقول ((اصحوا واسهروا لأن إبليس خصمكم كأسد زائر يجول ملتمساً من يبتلعه هو))(1بطرس8:5).

والوحي في (أمثال4:6) يقول ((لا تعط عينك نوماً ولا أجفانك نعاساً. نجِّ نفسك كالظبي من اليد كالعصفور من يد الصياد)). ثم نجد الرب في المثل عن الزوان في وسط الحنطة ينبهنا للخطر الذي حصل للكنيسة في عدم سهرها، وكانت نتيجة نومها وجود زوان الغلالات والبدع والانقسامات نامية في حقلها. والكتاب يخبرنا عن نوم شمشون الجبار على ركبتي المتملقة دليلة بينما كان أعدائه يتربصون للإيقاع به والانتقام منه، وبنومه تمَّ لهم ما أرادوه.

إن عين المؤمن يجب أن تكون ساهرة بكل يقظة، مستعدة ومنتظرة بكل اشتياق لمجيء الرب المرتقب. والسيد الرب في أقواله طوَّب الساهرين بقوله في ( لوقا 37:12) ((طوبى لأولئك العبيد الذين إذا جاء سيدهم يجدهم ساهرين)). وبما أنه عند مجيئه ((ستبصره كل عين)) فينبهنا هذا إلى وجوب تمرين أعيننا الروحية على النظر إليه بإيماننا متوقعين رجوعه القريب إلينا. وبما أن مجيئه سيكون مفاجئاً، فعلينا أن لا ننام كالباقين بل أن نسهر ونصحو لكي لا يدركنا ذلك اليوم بغتة كلص ( تسالونيكي5:2-7). ولكي نعطي لمجيء الرب الأهمية التي يستحقها نحتاج أن نتمثل بالنبي حبقوق القائل: ((على مرصدي أقف وعلى الحصن أنتصب وأراقب لأرى ماذا يقول لي وماذا أجيب عن شكواي))(حبقوق2:1).

فأن كان الفلكيين يستعملون مراصدهم الضخمة وتلسكوباتهم الكبيرة ليروا الكواكب والسيارات السابحة في الفضاء الواسع، أفلا ينبغي أن نتخذ نحن المرصد الحقيقي( *الكتاب المقدس* ) ونستعمل مواعيده تلسكوباً روحياً للمراقبة حتى نرى بإعلانه ماذا يقول لنا عن مجيء الرب المبارك ؟

رابعاً: أن تكون عين المؤمن في الجسد الذي للرب المفتوحة على الدوام ليس لترى الأشياء في الدنيا، إنما لترتفع بنظراتها إلى الأعالي لكي ترى القوة الإلهية الحافظة للنفس وتحيط بها، فتصبح بها، فتصبح مطمئنة لأن عينه علينا: ((أعلمّك وأرشدك الطريق التي تسلكها. أنصحك. عيني عليك))(مزمور32:8). بل أن تكون عين المؤمن مفتوحة لترى الراعي الأمين يتمم وعده القائل: ((لا يخطفها أحد من يدي. . . ولا يقدر أحد أن يخطف من يد أبي)) (يوحنا10:28و29).

يخبرنا الكتاب في سفر الملوك (أن ملك أرام أرسل جيشاً كبيراً وأحاطوا ببلدة دوثان لكي يلقوا القبض على النبي أليشع. أما غلام النبي فعندما رأى الجيش القوي بخيله ومركباته خاف كثيراً وارتعب، ولكن النبي طمأنه بقوله ((لا تخف لأن الذي معنا أكثر من الذي معهم)) وصلى أليشع وقال: يارب أفتح عينيه فيبصر. ففتح الرب عيني الغلام فأبصر وإذا الجبل مملوءاً خيلاً ومركبات نار حول أليشع)). ومن هذا نتعلم كيف يجب أن نكون مطمئنين لأن الرب معنا حسب وعده، وأن قوته في ضعفنا تكمل)).

فمهما كانت قوى الشر حولنا، ومهما كانت هجمات التجارب علينا عنيفة، فنعمته تكفينا. ويجدر بنا أن نكون متيقنين أن عينه تسهر علينا لحفظنا حسب وعده في (مزمور 7:34) ((ملاك الرب حال حول خائفيه وينجيهم)).

خامساً: أتن تكون عين المؤمن في الجسد الذي للمسيح مكحلة لكي ترى جلياً، ولكن بالكحل الذي يعطيه الرب، كما وصفه الملاك كنيسة لادوكية (رؤيا 18:3) ((كحل عينيك بكحل لكي تبصر)).

وهذا الكحل هو الروح القدس وليس الكحل الأسود الذي يستعمله الناس من أجل الغواية والتجميل الخارجي. فكحل روح الله هو الذي تكحلت به عين استفانوس حينما امتلأ منه وبه تمكن من رؤية مجد الله ورؤية يسوع قائماً عن يمين الآب (أعمال 55:7).

# الأذن

تحدثنا في الدرس السابق عن العين في الجسد ورأينا كيف يجب أن تكون نيرة وبسيطة وبلا شر، وان تكون ساهرة وحذرة من لبس نظارات إبليس، وان تكون باكية، ومكحلة بكحل الروح القدس.

ونأتي الآن للتأمل بعضو آخر في الرأس وهذا العضو هو الأذن. فان كانت العين أداة لتصوير الأشياء التي ترها فالأذن هي الأداة للإصغاء وسماع كل ما يقال ويطرق بابها. وهي بمثابة جهاز للاستيراد.

لأن الإنسان عن طريق أذنه يتلقى الآراء بأنواعها وله الخيار وملئ الحرية بقبول ما يسمع أو يرفضه بحسب ما يقرر العقل الباطني في النفس وبحسب مشورة الإرادة.

والآن يجب أن نحصر تأملنا في بعض النقاط لفائدتنا في هذا الدرس

النقطة الأولى: أن نعرف فيما نتعلمه عن الأذن من هو الذي يستحق أن نصغي لأقواله. فأن كان في درسنا عن العين وجدنا أن المستحق أن نتمتع بمشاهدته هو الرب يسوع الذي ((كله مشتهياته)) (نشيد16:5) فننظر إلى جماله ونرى فيه الصفات المحببة إلى قلوبنا برحمته ومحبته ونعمته وشفاعته، ففي درسنا عن الأذن كذلك يجابهنا السؤال نفسه عمن هو مستحق أن نصغي إليه ونسمع صوته ونفتح آذاننا بشهية لسماع أقواله الحلوة لكي نتلذذ بها، لأنها ((أحلى من العسل وقطر الشهاد)) (مزمور 10:19). أليس هو الله إلهنا القدوس الذي كلمنا قديماً بالأنبياء وبأنواع كثيرة وقد كلمنا أخيراً في ابنه الحبيب (عبرانيين1:1و2). ومن ثم أرسل روحه إلى قلوبنا ليملي علينا كل ما هو مفيد لتعليمنا. فحينما يتكلم الله على سماعنا يجب أن نفتح لا آذاننا فقط بل أذهاننا أيضاً لكي نستوعب كل ما يريد أن يقوله لنا. فليقبل كل واحد منا كما يقول صموئيل ((تكلم يا رب لأن عبدك سامع)) ( 1صمؤيل9:3).

النقطة الثانية: أن نعرف ما هي الأشياء المستحقة أن نصغي إليها ونسمعها بآذاننا وأذهاننا. من هذه الأشياء الإعلانات الإلهية. فقد أعلن لنا إلهنا المبارك ذاته أنه إله محبة ورحمة وكشف لنا ((السر المكتوم منذ الدهور في الله خالق الجميع بيسوع المسيح)) (أفسس9:3).

فيا لعظمة هذا الإعلان عن سر هذا الفداء الذي جعله واضحاً بما أكمله مخلصنا الكريم من أجل فدية نفوسنا. والرسول بولس في (1كورنثوس9:2و10) يقول: ((بل كما هو مكتوب ما لم

ترى عين و لم تسمع به أذن و لم يخطر على بال إنسان ما أعده الله للذي يحبونه فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله)).

فهل نفكر باهتمام كلي بقيمة هذا الإعلان السماوي العظيم عن محبة إلهنا القدوس الذي بعث ابنه الوحيد ليتجسد ويفتدينا ويكفر عن آثامنا بنيابته عنا أمام العدل الإلهي ويطهرنا بدمه الثمين ويبررنا ببره الكامل.

ألا يستحق هذا الفداء العظيم المعلن والمكمل بربنا يسوع أن يكون ماثلاً على الدوام أمام أعيننا لكي نقدره حق التقدير وندرك قيمة نفوسنا التي دفع ثمنها غالياً لكي يعيدها لذاته.

ثمَّ من الأشياء المستحقة أن نسمعها بكل اهتمام هي دعوة الله لنا ففي (أشعياء55:1-3) يقول: ((أيها العطشى جميعاً هلموا إلى المياه والذي ليس له فضة تعالوا اشتروا وكلوا هلموا اشتروا بلا فضة وبلا ثمن. . . استمعوا لي استماعاً وكلوا الطيّب ولتتلذذ بالدسم أنفسكم. أميلوا آذانكم وهلمّوا إليَّ اسمعوا فتحيا أنفسكم واقطع لكم عهداً أبدياً مراحم داود الصادقة)).

وبالنظر إلى الدعوة الإلهية التي سجلها الوحي قديماً فقد كررها الرب يسوع مجدداً بدعوته الكريمة لوليمة الخلاص. وضرب لنا في ذلك مثل الملك الذي صنع عرساً لابنه، وقد صرح بقوله: ((كل شيء معد تعالوا على العرس)) (متى 22:2-14) أي أن كل شيء من أجل خلاص نفوسنا قد جهزه الله بالتمام ولا يكلفنا إلا القبول للدعوة السماوية وإشباع جوع حياتنا من الطعام الروحي الشهي. وتستحق دعوة إلهنا المجيد لكل إصغاء لصوته لأنه يريد الدخول بذاته إلى القلب حاملاً البركات إلى النفس التي تفتح له وتقبله، حيث يقول بتلك الآية الشهيرة المنبهة لكل واحد ((إن سمع أحد صوتي وفتح الباب ادخل إليه)) الخ (رؤيا3:20). ولكي يشوق نفوسنا له يحدثنا وحيه بفم يوحنا عن النعمة التي أتى بها ويأتي بها دائماً، إذ قال أنه أتى ((مملوءاً نعمة وحقاً. ومن ملئه نحن جميعاً أخذنا. ونعمة فوق نعمة)) (يوحنا1:16). ألا تفتح أذنك وقلبك أيها القارئ أو السامع لهذا المنعم الجواد وتقبله في حياتك.

ومن الأشياء المستحقة أن نفتح لها آذاننا وأذهاننا بالإصغاء التام المواعيد العظمى والثمينة التي تبعث في النفس الفرح والبهجة والسعادة والسلام. وهل بالمستطاع في مجال محدود كهذا أن نتناول في بحثنا ذكر المواعيد الكثيرة في كلمة الله التي تتكرر دائماً لتنبيهنا. وكأن الرسول بولس عندما جال بفكرة ذكر المواعيد أرشده الروح القدس فسجل تلك الآية العظيمة في (2بطرس 1:3و4) بقوله: ((كما أن قدرته الإلهية قد وهبت لنا كل ما هو للحياة والتقوى بمعرفة الذي دعانا بالمجد والفضيلة

اللذين يهما قد وهب لنا المواعيد العظمى والثمينة لكي تصيروا بها شركاء الطبيعة الإلهية وأن نكون مؤهلين للحصول على ميراث البنين في السماء. ألا ينبغي أن نعلل أنفسنا دائماً بمواعيده التي تجعل قلوبنا متعلقة بشخص فادينا منتظرين مجيئه لكي يأخذنا إليه لنكون معه في أبدية المجد.

على أنه يوجد شيء آخر يستحق أن نصغي إليه بآذاننا ويستقر في أعماق أذهاننا وهو الإنذارات والتحذيرات الإلهية المسجلة بكثرة في الكتاب. وقد قال الرسول بولس في (1كورنثوس11:10) ((فهذه الأمور جميعها أصابتهم مثالاً وكتبت لإنذارنا نحن الذين انتهت إلينا أواخر الدهور)).

وأضاف إلى ذلك قوله في (رومية 4:15) ((لأن كل ما سبق فكتب كتب لأجل تعليمنا حتى بالصبر والتعزية بما في الكتب يكون لنا رجاء)).

ففي العهد القديم ينبهنا الله إلى أهمية الإصغاء للإنذارات والتحذيرات التي من قبله حيث يقول في (حزقيال33:3-5) ((إذا سمع السمع صوت البوق و لم يتحذر فجاء السيف وأخذه فدمه يكون على رأسه، سمع صوت البوق و لم يتحذر فجاء السيف وأخذ فدمه يكون على نفسه. لو تحذر لخلّص نفسه)).

من واجبنا إذاً أن لا نكتفي بالإعلانات والمواعيد ونهمل الإنذارات وتحذيرات الرب لأنها ضرورية جداً وإهمالها يخسرنا فائدة كل المواعيد المعطاة لنا. وما أحرانا أن نتأمل بذلك الإنذار الشديد اللهجة الذي يذكره العهد الجديد وقدمه الرب على طريق دمشق لشاول الطرطوسي المقاوم له والمضطهد للمؤمنين به، إذ نقرأ عن ذلك في (أعمال 4:9و5) عندما قال له: ((شاول شاول لماذا تضطهدني. . . . . صعب عليك أن ترفس مناخس)). وحينما تأمل شاول بعظمة الناصري الإله الذي ظهر له بالبرق وكلمه بالرعد، في الحال تأثر بالإنذار وسلّم للسيد التسليم الكامل وخضع له الخضوع التام. وهو بذلك يعطي مثلاً لكل من يسمع صوت الرب ينذره ويحذره من عواقب المضي في المخالفة للإرادة الإلهية.

وماذا نقول عن ذلك الإنذار بقول الرب في (يوحنا 36:3) ((الذي لا يؤمن بالابن لن يرى حياة بل يمكث عليه غضب الله)). وفي الإصحاح ذاته أوضح معنى الإيمان به بأنه هو الذي يحدث التغيير في الإنسان الخاطئ بحيث يجعله خليقة جديدة بالولادة من فوق، وأن الذي لا يولد من الله لا يقدر أن يرى ملكوت الله. . . . فهذه الإنذارات هي لكل واحد لأن بها يرينا الرب الضرورة

للحصول على التجديد في الحياة وأن الذي لا يتجدد بعمل النعمة الإلهية ولا يصير خليقة روحية جديدة بالمسيح ليس من واسطة أخرى تستطيع أن تدخله السماء.

النقطة الثالثة: لتأملنا في درسنا عن الأذن في الجسد الذي للمسيح هي المسؤوليات التي علينا، لأن ما نسمعه بواسطة كلمة الله يضعنا تحت المسؤوليات الخطيرة.

فمن هذه المسؤوليات عدم الاكتفاء بمجرد السمع إنما أن نعمل بما نسمع. وقد أوضح ذلك الرسول يعقوب بقوله: كونوا عاملين بالكلمة لا سامعين فقط خادعين نفوسكم)) (يعقوب1:22). كم يستخف بعض الناس بما يسمعون ولا يحفظونه ليكون لهم الفائدة. وكأن الأقوال الإلهية التي يسمعونها تمر كمرور بضاعة ((الترانزيت))، فيقول الواحد ((ما أسمع بهذه الأذن يخرج من الأخرى)))). فكلام الله أيها السمع ليس كترانزيت المواد المنقولة إنما لتبقى في أعماق الحياة. وقد قال الرسول بولس في: ((كولوسي3:16) ((لتسكن فيكم كلمة المسيح بغنى وأنتم بكل حكمة معلمون ومنذرون بعضكم بعضاً بمزامير وتسابيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب)). فالسمع بدون العمل يضع النفس تحت الدينونة، بل أن الإيمان نفسه، إذا لم يتبرهن على وجوده بالحق في العمل الصالح، يكون ميتاً.

والرب يسوع ينبهنا لعدم فائدة أي اعتذار يقدمه الإنسان الذي يسمع حيث يقول في يوحنا(يوحنا 15:22) ((لو لم أكن قد جئت وكلمتهم لم تكن لهم خطية. وأما الآن فليس لهم عذر في خطيتهم)). والوحي، بفم الرسول بولس، يؤيد ذلك إذ يقول: ((أنت بلا عذر أيها الإنسان)) (رومية2:1). ثم أن أهمية العمل بما نسمع ينبهنا إليه الرب يسوع بقوله في (يوحنا 13:17) ((إن علمتم هذا فطوبا لكم إن عملتموه))، وفي (يوحنا14:23) أيضاً يرينا وجوب حفظ كلامه لأن له ثواباً عظيماً حيث يقول: ((إن أحبني أحد يحفظ كلامي ويحبه أبي وإليه نأتي وعنده نصنع منزلاً)).

فلنجعل ذواتنا على استعداد ألا نسمع فقط بل أن نعمل لتكون لنا البركات التي تتضمنها كلمة الله. والأمر المهم الذي نتعلمه في هذا الصدد هو أن الذي لا يسمع أقوال الله ليعمل بها لا تقبل صلاته. ففي (أمثال28:9) يقول: ((من يحول أذنه من سماع الشريعة فصلاته أيضاً مكرهة)). والذين لا يعطون الأوامر الإلهية حقها من الواجب بالطاعة، ويصمون آذانهم عن السماع والعمل يشبههم بالأصنام التي ((لها أعين ولا تبصر. لها آذان ولا تسمع)) (مزمور115:4-8).

والغاية الأساسية من وضع الله الأذن في جسد الإنسان الذي خلقه هي أن تتلقى التعاليم من الله. وكم نجد العبارات عن هذا الموضوع مكررة: "من له أذنان للسمع فليسمع" (متى 11:15

و9:13 و43 ومرقس9:4 و23 و16:7، لوقا8:8 و35:14). وفي سفر الرؤيا كرر الرب أمره للكنائس السبع بقوله: ((من له أذن فليسمع ما يقوله الروح للكنائس)) (رؤيا 7:2و29و6:3و22:13). وبما أن الله بحكمته خلق الإنسان كاملاً ومجهزاً بالأعضاء الضرورية ليتحمل كل عضو مسئوليته فالأذن هي من الجملة، ولا مهرب لها من الواجب. لأن الرسول بولس، في (1كورونثوس16:12)، يقول: ((إن قالت الأذن لأني لست عيناً لست من الجسد أفلا تكن لذلك من الجسد)). وفي عدد 18يقول: ((وأما الآن فقد وضع الله الأعضاء كل واحد منها في الجسد كما أراد)). وفي العهد القديم نسمع الله يقول في( تثنية 4:29) ((لم يعطكم الرب قلباً لتفهموا وأعيناً لتبصروا وآذاناً لتسمعوا إلى هذا اليوم)). وقد أوصى أرميا بقوله: ((اسمع هذه الكلمة التي أتكلم أنا بها في أذنيك وفي آذان كل الشعب)) (أرميا7:28).

وبما أن الأذن بحكم وضعها وتركيبها مفتوحة دائماً لتتلقى ما يقدم لها من أقوال فقد صرح الكتاب في (جامعة 8:1) ((العين لا تشبع من النظر والأذن لا تمتلئ من السمع)). بناءً على هذا يجب أن يكون الإنسان حريصاً جداً بفتح أذنه أو إغلاقها لأنها الباب الذي فيه تدخل المؤثرات إلى الحياة. فأما أن يسمح للتجربة أن تدخل إلى نفسه ويحتل العدو بقوته، أو أن يغلقها في وجه التجربة ويجعلها مفتوحة للرب يسوع فقط ولا يكون إبليس في نفسه مكان.

مؤلف كتاب ((سياحة المسيحي)) المعروف، ألف كتاباً آخر قيماً جداً يستحق المطالعة وقد دعاه ((الحرب المقدسة))، وشبّه فيه نفس الإنسان بمدينة كبيرة لها عدة أبواب والعدو يحاصرها من كل الجهات ويحاول الدخول من أحد الأبواب لكي يحتل الحصن في المدينة. ومن جملة الأبواب التي يجرب العدو الدخول منها هو باب الأذن. وبالحقيقة أنه باب خطير جداً بل وخطر أيضاً، لأننا نعلم أن التجربة لأمنا حواء، وهي التي سببت سقوط لهاو لآدم كانت نتيجة للمحاولة الناجحة التي حاولها إبليس في لإدخال تجربته من باب الأذن. فقبل أن يفتح له باب العين أو باب الفم فتحت حواء باب أذنها، أي أنها قبل أن تمتع نظرها بالثمر على الشجرة الممنوع الأكل منها، وقبل أن تذوق طعمها بفمها فتحت أذنها لخداع إبليس وكذبه وحيلته. وعندما سمعت لمشورته الشريرة سمحت له بالدخول إلى مدينة حياتها وتمَّ له ما أراد بإسقاط رأس الخليقة البشرية بالخطية. ولو كانت حواء حريصة على الإصغاء لإعلان الله وأمره وأغلقت أذنها في وجه تجربة العدو لما حصل السقوط الذي ورثنا نحن نسلها النتائج المؤلمة.

فهل انتهى هذا العدو من مهاجمة بني البشر، خصوصاً المؤمنين؟ كلا لأننا نعلم أنه يجعلهم موضوع هجماته بجيش تحاربه. وما دمنا في هذا العالم فالمحرب موجودة، وبكل دهائه وخبثه يحاول أن يقنع الشخص ليفتح له الباب.

أليس من واجبنا أن نكون حريصين كل الحرص ونبقي أبواب حياتنا مقفلة في وجهه حتى لا يتمكن من الدخول إلى القلب ونكون بذلك قد أطعنا الكلمة الإلهية القائلة: ((لا تعطوا إبليس مكاناً)) (أفسس4:27).

وإذا تأملنا بمسؤولياتنا من قبيل استعمالنا لآذاننا نجد من الواجب علينا أن يكون عندنا التمييز الدقيق لنعرف صوت ربنا ونميزه عن غير الأصوات التي تسمع. وبهذا الصدد نلاحظ أن مسئوليتنا أشد من مسؤولية حواء لأنها هي وآدم لم يكونا قد اختبرا بعد نتيجة المعصية على أمر الله وما جرته عليهما من أضرار وحرمان وعقاب، أم نحن فنعرف أكثر منهما. نعرف ما هو الموت إذ نرى الناس يموتون، بينما هما لم يريا التجربة موت أحد أو بالأحرى ما هو الموت. وبالنظر لمعرفتنا بالاختبارات العملية وبالواقع صار من الواجب علينا أن نميز كل ما نسمعه من أقوال من أي مصدر أتت خوفاً من خداعنا وغشنا. فأن كانت الحيوانات لا تفهم مثلنا، تميز صوت راعيها وتعرفه فتتبعه ولا تتبع الغريب، فكم بالأحرى نحن الخليقة العاقلة يجب أن نميز صوت راعينا السماوي الأوحد لكي نتبعه دون سواه، فنكون خرافة الخاصة كما قال في (يوحنا 27:10) ((خرافي تسمع صوتي وأنا أعرفها فتتبعني)).

يقال أن الواعظ الشهير مودي زار الأراضي المقدسة في إحدى رحلاته وأراد أن يختبر بذاته ما قاله الرب عن الغنم والراعي. فذهب مرة إلى الحقل وأراد أن يختبر ما قاله الرب عن الغنم والراعي. فذهب مرة إلى الحقل وطلب من الراعي أن يعلمه ماذا يقول للغنم لكي يتبعه، فعلمه بعض الكلمات وقالها للغنم ومشى قدامها فلم تعره أي اهتمام. أتى إلى الراعي ثانيةً وطلب أن يلبسه لباسه ويحمل عصاه كما يفعل هو فأعطاه ما طلب وعاد الكرة ومشى أمام الغنم وكرر القول داعيا القطيع أن يتبعه ولكنه فشل أيضا إذ لم تتبعه أية واحدة منها وعندما سأل الراعي عن السر بذلك أجابه أن الغنم تعرف راعيها الحقيقي ولا يمكن أن تنخدع وتتبع سواه.

وبناءً على هذا أليس من المحتوم علينا أن يكون عندنا التمييز الدقيق بين أقوال الحق وأقوال الضلال؟ والوحي في (امثال19:27) يقول ((كف يا ابني عن استماع التعليم عن كلام المعرفة للضلالة)). ومما نقرأ في (1صموئيل15:22) قوله ((هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب. هو ذا أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش)).

إننا نتأكد إن كثيرين من البسطاء القائلين بالإلحاد وإنكار حقيقة وجود الله توصلوا لتلك النتيجة الردية بواسطة ما سمعوه من غيرهم ممن لا إيمان في قلوبهم. لذلك من الواجب علينا أن نسد آذاننا تجاه كل الآراء التي لا تأتي من مصدر إلهي بالكلمة المقدسة، خوفا على حياتنا وعلى إيماننا مما يغري.

يقال أن جزيرة كانت مسكونة بأرواح شريرة ويصدر منها أنغام شجية للغاية. والمراكب التي كانت تمر من الجزيرة كانت الأنغام المطربة تغري المسافرين حتى يحولوا سير السفينة ويذهبا إليها وهناك كانوا يجدوا نهايتهم. وعندما عرف الأمر وشاع، اتخذ ربان سفينة مسافرة في تلك الجهة الحذر، ووضع قطناً في آذان الركاب ومر قرب الجزيرة بسلام لأن المسافرين لم يسمعوا أنغام الجاذبة إليها.

على أن هذه القصة – مهما كان فيها من خرافة – تنبهنا إلى الحقيقة لا مناص من التعلم منها إذ تفرض علينا أن نسد آذاننا الروحية لكي لا تخدعنا أنغام التجارب ومغريات الدنيا لأنها تقودنا إلى الهلاك.

الكاتب يحدثنا عن الأذن المختونة أي المطهرة وهي التي تجعل النفس مكرسة للرب لأننا نعلم أن استفانوس الشهيد وبخ اليهود بقوله في( أعمال 51:7) ((يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان انتم دائما تقاومون الروح القدس)). ومن هذا نعلم أن الأذن المختونة هي المقدسة بفعل الروح الله والطاعة لأوامره والمكرسة لسماع إنجيل الخلاص ورسالته المحيية.

والكتاب يحدثنا عن الأذن المثقوبة بمثقب خاص يجعلها ملازمة لبيت الرب وسماع أقواله ومستعدة لخدمته. من العوائد المعروفة أن الأمهات يثقبن آذان البنات ليوضع فيها الحلق لأجل الزينة. وما أكثر أنواع الأقراط التي تفنن الناس بصنعها ولبسها! ولكن الكتاب المقدس يخبرنا عن نوع معين لثقب الأذن ولغاية أفضل أي أن العبد الذي يحب سيده يقدمه سيده إلى الله ويقربه إلى الباب أو إلى القائمة ويثقب سيده أذنه المثقب فيخدمه إلى الأبد. (21:5و6).

فلنجعل آذاننا مثقوبة بمثقب سيدنا العظيم لكي نظل طيلة أيام حياتنا ملازمين له وثابتين وملتصقين به كدليل على محبتنا له واستعدادنا لخدمته كل الزمان والى أن يأتي الوقت الذي نكون معه في الأبدية.

# الأنف

ألقينا نظرة عاجلة في الدرس السابق عن الأذن التي لها مركزها في الجسد، لأن عن طريقها تأتي الآراء لتعرض على أفكار الإنسان فيقبلها أو يرفضها. ورأينا أن التجربة الأولى أتت عن طريق الأذن وأدت بالبشر إلى الأخطار بسبب المعصية وامتلاك الخطية في الحياة الإنسانية، فالآن نريد أن ننظر إلى الأنف، العضو الصغير المسكين في الجسد الذي للمسيح. وبمجرد النظر إليه يتراءى انه لا يستحق الاهتمام بالدرس عنه. فليس هو كالعين التي تجل بنظرها في الآفاق القريبة والبعيدة، وليس هو كالأذن التي وضعت في الجسم كأداة لاستيراد المعلومات بأنواعها من شتى النواحي.

ولكن مع صغر هذا العضو، ومحدودية عمله من الواجب أن لا نستخف به وبمقامه بين بقية الأعضاء، لأننا إذا دققنا النظر نجده العضو الوحيد بين كل الأعضاء الذي ميزه الخالق، لان عن طريقه، كما نعلم من درس الكتاب، أتت النفخة الإلهية بنسمة الحياة، ولولا هذه النفخة لبقي الإنسان بلا حياة.

فالنفخة بنسمة الحياة من الله لم تأت عن طريق العين ولا بواسطة الأذن، ولكنها أتت بواسطة هذا العضو الصغير – الأنف. ومن الضروري الآن أن ننظر إلى بعض الوظائف التي يقوم بها هذا العضو، لأننا نعلم انه بمقتضى حاسة الشم فسه يفرض على الإنسان بكامل قواه عدة أشياء.

أول شيء: يفرضه على الإنسان ابتعاده عن الرائحة الكريهة التي تنزعج منها النفس. والمثل يقول ((لا تسكن بين القبور ولا تشم الرائحة النتنة)) وبما أن الأنف يرمز بحاسته هذه إلى الحاسة الروحية في النفس فيفترض في الإنسان، خصوصا الإنسان المتجدد، أن يبتعد كذلك عن كل مايشتم منه رائحة دنسة في المخالطات والمعاشرات الفاسدة، لان لها التأثير السيئ على الإنسان. وقد صرح الرسول بولس في ( 1كورنثوس33:15) بقوله ((المعاشرات الردية تفسد الأخلاق الجيدة))، وكلمة الله بفم هذا الرسول المطوب تنصحنا في (1كورنثوس 14:6-17) بان نعتزل عن الأوساط الردية وننفصل عما هو نجس ودنس لكي نكون بنين وبنات لله، لان الاحتكاك بما هو غير طاهر يترك أثرا سيئاً على الأخلاق وعلى الإيمان. فالأشياء الموجودة في المحيط الفاسد يجب تجنبها لان خطرها على نفس المؤمن مثل خطر الميكروبات الطبيعية التي تدخل الجسم عن طريق الأنف وتسبب له المرض.

فلنبتعد إذا بحاستنا الروحية عن كل جراثيم الإثم والتعاليم الموبوءة بالضلالات من أي نوع كانت، وهي كثيرة لسوء الحظ في هذه الأيام وتغزو البيوت بدعاوتها. فكما نبتعد جسديا عن كل رائحة كريهة ينبغي أن نبتعد عن كل بدعة وتعاليم مضلة.

ثاني شيء: نتأمل فيه بدرسنا هو انه يفترض في الإنسان أن يكون في جو عال لكي يستطيع انه أن يتنشق الهواء انقي المنعش. فكما يضطر الناس لترك بيوتهم في المدن المكتظة بالسكان والملوث فيها الجو بالعفونة ويذهبون إلى الجبال الجيدة المناخ، هكذا يجب أن يلجأ المؤمن إلى الجبال حيث يجد النشاط الروحي ونقاوة الهواء في الجو المرتفع. وربما أن المرنم كان يفكر بضرورة الارتفاع عن الأجواء الواطئة حينما قال ((ارفع عينيّ إلى الجبال من حيث يأتي عوني معونتي من عند الرب صانع السموات والأرض)) (مزمور121:1و2) فما هي الجبال التي نرفع أعيننا إليها ونرتفع لنوجد فيها حتى نتنشق الهواء الروحي؟

أ- من هذه الجبال جبل سيناء الذي فيه نجتاز الحدود التي عيّنها الله لكي نقترب إليه ونتقابل معه ونرى مجده ونصي إلى صوته ونتلقى وحيه والأوامر الوصايا الإلهية والعهود التي يفرض علينا أن نقعها معه لكي نكون من شعبه الخاص.

ب- ومن هذه الجبال التي نرتفع إليها بنفوسنا جبل الموعظة الشهيرة المسماة ((الموعظة على الجبل)) وهي التي لم ينطق بمثلها بشر، فنصغي لها من فم السيد الرب ونتخذها دستوراً لحياتنا من كل النواحي القول والعمل والفكر.

يقال أن احد قادة الفكر في الغرب، في أثناء جولته في الشرق، قابل ذلك الزعيم الشهير غاندي وسأله: في دراستك الواسعة ومعلوماتك الشاملة، أي شيء من التعاليم التي سجلتها الكتب يستحق بنظرك أن يكون في المرتبة الأولى؟ أجاب غاندي ((الموعظة على الجبل)). وعندما تناول بحثهما السياسة العالمية وحاجة العالم إلى الإصلاح سال الغربي غاندي ثانية: كي يمكن إصلاح أحوال العالم حسب رأيك؟ فقال: إذا مشى على أسس الموعظة على الجبل. فلنجعل إذا ما تتضمنه هذه الموعظة قاعدة لحياتنا اليومية ونطبق نظامها السماوي بكل تدقيق.

ج- ومن الجبال التي يجب أن نذهب إليها لنرتفع عن المحيط الدنيوي في فساده وشره هو جبل التجلي الذي فيه نشاهد الرب يسوع في أمجاده العظمى لكي نتيقن إننا سنكون معه في مجده حينما يدعونا إليه. فكما ظهر موسى وإيليا ليمثلا رجال العهد القديم- ومعرف إن موسى انتقل من هذه الحياة عن طريق الموت وإيليا عن طريق الاختطاف، ولكي يكونا بحالة تليق أن يوجدا مع الرب ظهر بمجده- هكذا نحن يجب أن نصعد إلى جبل التجلي في حياتنا الروحية وبرؤى نفوسنا ومنية أشواق قلوبنا وبرجاء حي متيقنين أننا سنؤهل بعمل نعمته أن نوجد معه بحالة تليق.

فلنجعل دعوة الرب لنا واختياره إيانا كخاصة له، ان تجد فينا روح التلمذة الحقيقية والملازمة لسيدنا المجيد، فنرافقه بأرواحنا للتمتع بما تمتع به بطرس ويعقوب ويوحنا الذين اختارهم ودعاهم لمشاهدة العظمى في رؤية مجده والاجتماع إلى المختارين من رجال الله ثم لنشنف آذاننا بسماع صوت ألآب القدوس يعلن مسرته بابن محبته ويأمرنا بسماع أوامره والعمل بها.

د- ومن الجبال المستحقة أن تكون هدفا لنا لنصعد إليها ولا غنى عن وجودنا فيها هو جبل الجلجثة الذي عليه أكمل فادينا خلاصنا ومصالحتنا مع ألآب بدم نفسه وجعلنا مقربين وأحباء له. وحينما نوج روحيا عل هذا الجبل، لا يكفي أن نتأكد أن الفادي الكريم وفي كل حقوق العدل الإلهي ومطالبه بالنيابة عنا بموته حاملا خطايانا ومبررا إيانا ببره الكامل، بل ينبغي أن نذهب بالروح الآن إلى هذا الجبل لكي يضع كل واحد منا نفسه تحت الدم المسفوك من جسد المخلص المجيد حتى نتسل ونتنقى من كل ادران الآثام. وليس هذا فقط إنما أن نذهب إلى جبل الجلجثة لنشترك مع الرب بالاتحاد معه بالموت عن الخطية فنموت نحن عنها حتى يتسنى لنل أن نحيا معه بقيامته حياة روحية جديدة. وليقل كل واحد منا كما قال بولي عن نفسه ((ومع المسيح صلبت فأحيا لا أنا بل المسيح يحيا في)) (غلاطية2:20).

هـ-ومن الجبال التي نحتاج أن نذهب إليها جبل الزيتون لكي ننظر الرب يصعد إلى مجده السماوي ويأخذ مركزه عن يمين ألآب ممثلا لنا وشفيعا بجسده الممجد. وحينما نرافق الرب بالروح لهذا الجبل، نظير مرافقة التلاميذ له، يمكننا أن نأخذ مثلهم الإعلانات الأكيدة الملائكية بان فادينا المجيد سيأتي هكذا كما صعد. وعندئذ نتيقن نحن أيضا حقيقة مجيئه الثاني إلينا. وكما فرح التلاميذ بالإعلانات السماوية التي طمأنت قلوبهم وعزتهم بان الرب لا يتركهم بل يكون معهم بروحه الذي سيرسله إليهم هكذا نفرح نحن بوجوده معنا. ويجدر بنا أن نتمثل بهم بالمثابرة على الصلاة بروح واحدة كما فعلوا إلى أن امتلأوا بملء الروح.

وعلى جبل الصعود نلاحظ أمرا هاما يبعث فينا الرجاء الحي بأن الرب الذي صعد من على جبل الزيتون سيترل على ذلك الجبل عينه، كما أوضح ذلك الوحي بفم النبي (زكريا14:4) بقوله ((تقف قدماه في ذلك اليوم على جبل الزيتون الذي قدام أورشليم من الشرق)).

والرجاء الحي الذي يفرح قلوبنا إذا هو اننا سنكون معه عند رجوعه بعد ما يكون قد نقلنا إليه بالقيامة الأولى أو بالاختطاف. فيا له من مشهد عظيم الغبطة أن نرافق الرب لنملك معه!

فإلى هذه الجبال المقدسة يجب أن نرتفع بأفكارنا وبإيماننا وأشواق قلوبنا حتى نتنشق الهواء الروحي النقي وتنتعش نفوسنا بإلهنا الحي.

ثالث شيء: نتأمل فيه في درسنا أنه يفرض فينا أن نحذر من الاختناق المتسبب عن عدم إمكان التنفس من الأنف بواسطته، لان عدم استعمال التنفس به ينتج عنه الاختناق في الرئة. والرئة في الجسم، كما نعلم، تعمل عملا لا ينقطع طيلة أيام الحياة، وذلك بمشاركة الأنف لها في العمل. فإذا انقطع عملها فترة قصيرة يقضى في الحال على الحياة الجسدية. وكم نسمع عن حودث التسمم التي تحصل باختناق الناس بالتفحيم،أي يكربون الفحم، لان الرئة حينا لا يمدها الأنف بالهواء النقي الجديد تمتلئ بالهواء الفاسد ويتوقف عملها ويحصل الموت العاجل. فكما يحصل هذا جسديا يجب أن نحذر من مادة الخطيئة السامة والأدناس الخانقة بل أن نجعل الأنف في نفوسنا يأخذ باستمرار الهواء النقي لكي تحافظ الرئة في الحياة الداخلية على القيام بوظيفتها للانتعاش الدائم.

رابع شيء: نتأمل فيه بدرسنا انه يفرض علينا أن يكون في انفنا الطبيعي في الجسد التمييز الدقيق بين الأشياء التي تعرض عليه ويتنشقها، لأنه بهذا التمييز يعرف ما هو جيد ويوافق أن يشمه ويعرف الكريه الذي يسد المنفذ بوجهه حتى لا تدخل رائحته للرأس.

فكما ان حاسة الشم بالأنف دليل على سلامة الإحساس في الإنسان كذلك حاسة الذوق بالفم أيضا، وكلها تعبر عن وجود الشعور السليم الحساس، لان الحالين في هذه الناحية متقاربتان وتؤلفان شعورا مشتركا، والذي لا يحسن الشم ولا يحسن الذوق أيضا.

اني اعرف شخصا اسمه قبلان صلاح كانت مفقودة عنده هذه الحاسة المشتركة ولذلك تناول مرة غداء كاملا في بيته بغمسه الخبز بالقطران من صحن ظاناً أن الذي فيه من الدبس المشابه لونه للقطران.

على هذا الشكل كم نجد بين الناس من هم في روحياتهم لا يميزون بين القطران والدبس في مذاقهم للطعام، بين الطعام المقوي للحياة وبين الذي يسمم النفس. لا يميزون بين الرائحة النقية المنعشة بكلمة الرب وبين رائحة التعليم الغريب والبعيد عن الحق. عندهم كل شيء مقبول ويأخذون بلا فرق ودون أي تمييز، ذلك لان الحاسة الحية في نفوسهم معطلة. إن قُدّم لهم طعاما من غير أقوال الله المحيية يلتهمونه، غير مميزين. والرسول بولس في (فيلبي1:9و10)ينبهنا للتميز الضروري بقوله ((وهذا أصلّيه أن تزداد محبتكم أيضا أكثر فأكثر في المعرفة وفي كل فهم حتى تميزوا الأمور المتخالفة لكي تكونوا مخلصين وبلا عثرة إلى يوم المسيح)).

وبعدما نظرنا في هذه الأشياء التي تفرض أن تكون الحاسة الروحية فينا جيدة نظير حاسة الأنف السليمة في الجسد، يعوزنا الحال أن ننظر في ضرورة أخرى وهي وجود الرائحة الطيبة في حياتنا أي أن نشتم قبل كل شيء رائحة نفوسنا لنحكم على ذواتنا قبل أن نحكم في الروائح الخارجية وذلك بالطرق الآتية:

الطريقة الأولى: أن نعرف أنفسنا إن كانت فيها رائحة القداسة وان نكون كعروس المسيح الذي يروق له، كعريسنا السماوي، أن يشتمها ويسر بها. ففي سفر نشيد الانشاد المرموز به للكنيسة كالعروس والمسيح كالعريس، نجده يعبر فيه عن سروره برائحة عروسه بقوله: ((رائحة انفك كالتفاح)) (نشيد7:8). ويستعمل الكتاب رمزا آخر للكنيسة مشبهاً إياها بلبنان حيث يقول في (هوشع14:6) ((تمتد خراعيبه ويكون بهاؤها كالزيتونة وله رائحة كلبنان)).

ومن الإنجيل المقدس نعلم أن الرب نفسه كان يسرّ بالرائحة الطيبة ويقبل تقديمها له ووضعها على جسده نظير رائحة الطيب الذي سكبته مريم، والذي دهنت المرأة الأخرى رجليه به. وعلى هذا القياس لا نشك في انه يريد أن يجد فينا رائحة طيبة تقدم له.

الطريقة الثانية: هي أن نلبس نحن ثياب بر المسيح حتى يشتم ألآب السماوي منا الرائحة الطيبة لكي يباركنا. لأننا نقرأ في (تكوين27:15-29) أن يعقوب لبس ثياب عيسو البكر وذهب إلى أبيه ليطلب البركة منه. وحين اشتم اسحق رائحة ثياب عيسو المألوفة لحاسة شمه باركه. ففي عدد 27 من هذه الأعداد نقرأ هكذا ((فتقدم وقبله. فشم رائحة ثيابه وباركه)). حقا أن البركة لم تكن ليعقوب أصلا لأنه ليس بكر أبيه، ولكنه أخذها لأنه تقدم باسم عيسو البكر وبثيابه التي لبسها. وهكذا نحن لا يحق لنا بأخذ البركة من أبينا السماوي، لأننا بسبب الخطية تدنسنا وصرنا مستحقين أن نأخذ اللعنة بمقتضى عدل الله، ولكن حين نتقدم باسم الابن الحبيب المبارك لابسين ثياب بره التي تحمل رائحته الجيدة نستطيع أن ننال بركة ألآب القدوس، لان مخلصنا الكريم هو الذي حمل لعنة الناموس بالنيابة عنا وهيأ لنا البركة الكاملة.

الطريقة الثالثة: هي أن نجعل رائحة المسيح الطيبة تفوح من حياتنا وتظهر في معرفتنا بكل ما نلناه من محبة الفادي وعمل خلاصه.

فكما نلاحظ أن الإنسان الذي يضع على ملابسه رائحة عطرية يجعل الآخرين يشتمونها عن بعد, هكذا نحن كمخلَّصين بنعمة الرب وكمؤمنين حقا به ينبغي أن نكون كما قال الرسول بولس في (2كورنثوس2:14و15) ((شكرا لله الذي يقودنا في موكب نصرته في المسيح كل حين ويظهر

بنا رائحة معرفته في كل مكان لأننا رائحة المسيح الذكية لله في الذين يخلصون وفي الذين يهلكون)). فعلينا أن نمتلئ من معرفة الرب، لأنه عندما تمتلئ حياتنا منها لا يمكن أن تخفى بل يلاحظ الجميع وجودها كرائحة المسيح، فتنبعث من أقوالنا ومن أعمالنا وفي معاملتنا مع الآخرين.

و الرائحة الطيبة التي يجب أن تظهر فينا كمؤمنين بالحق تفتقر إلى بعض أحوال مماثلة في الأشياء الطبيعية، كالسحق مثلا إذ أن حب الهال لا تظهر رائحته إلا عند سحقه، والحبق لا تظهر رائحته إلا عند هزه، والبخور لا تظهر رائحته إلا عند إحراقه. وعلى هذا الشكل يجب أن نحتمل من اجل سيدنا ومن اجل إنجيله كل ضغط ومقاومة وآلام لكي تظهر فينا رائحته ونتمثل به. والرسول في (عبرانيين3:12) يقول ((فتفكروا في الذي احتمل من الخطاة مقاومة لنفسه مثل هذه لئلا تكلّوا وتخوروا في نفوسكم)). والرسول بولس يقول عن نفسه ((لأعرفه وقوة قيامته وشركة آلامه متشبها بموته)) (فيلبي3:10). فرائحة المسيح تظهر في حياتنا في تحملنا الأتعاب والاهانة من اجله وحينما نظهر بمظهر إنكار الذات ومحاربة الخطية بقوة تستمد من قوته فينا.

الطريقة الرابعة: الضرورية لوجود الرائحة الطيبة تنبعث من حياتنا كأعضاء في جسد المسيح هي قبولنا النفخة الإلهية في أنوف نفوسنا،لأننا بدونها نحن مثل آدم عندما خلقه الله بكيان كامل ولكن بدون حياة و لم ويصر نفسا حية إلا حينما نفخ في انفه نسمة حياة فصار آدم نفسا حية (تكوين 2:7). وما علينا إلا أن نقبل النفخة السماوية بشكل أفضل بما لا يقاس من نسمة الحياة التي حصل عليها آدم، لأنه بتلك النفخة كانت له حياة جسدية أما فعندما ينفخ الله في أنوفنا الروحية نفخة جديدة من روحه نصير خليقة روحية جديدة ونحيا حياة جديدة.

الرب يسوع وجد تلاميذه بحاجة إلى نفخة من روحة لكي يحيوا حياة أفضل من الحياة التي تمتعوا بها. لذلك نقرأ في (يوحنا20:22) ((ولما قال هذا نفخ وقال لهم اقبلوا الروح القدس))، وكان قبولهم لنفخته عربوناً لامتلائهم من الروح في يوم الخمسين. فحاجتنا إذا أن نفتح الحاسة الروحية في نفوسنا ونقبل روح الله ((لأنه ليس بكيل يعطي الله الروح)) (يوحنا4:34).

وهنا لابد لنا من النظر في ملاحظتين: الأولى، إن الإنسان بلا وجود روح الله فيه هو عبارة عن تمثال مركب من المادة بلا حياة نظير الأشخاص القائمين في واجهات المخازن التجارية. الثانية، إن النفخ بروح الله لا يمكن أن تأتي للإنسان ما لم يكن قد أُعدَّ لقبولها. فآدم أعده الخالق بشكل كامل الجسد، والذي كان ينقصه هو نسمة الحياة, فوهبه إياها الله والتلاميذ أعدهم الرب يسوع بتلمذته إياهم وبإتباعهم إياه وقبولهم سيادته في حياتهم بالإيمان. وبعدما أكمل إعدادهم ووجد انه ينقصهم النفخة من روحه نفخها فيهم. فلنجعل ذواتنا مهيئين بروح التلمذة والإيمان وقبول روح

الرب لكي نحيا من جديد به، وعندئذ تتصاعد صلواتنا كبخور، لان الوحي يصف صلاة المؤمنين في (رؤيا5:8) ((جامات من ذهب مملوة بخورا هي صلوات القديسين)). ومن الرب نلتمس أن يجعـــل كل واحد منا مبخرة مقدسة مملوة من بخور العبادة الروحية لتمجيد اسمه القدوس.

# اللسان

بعد أن نظرنا في أهمية ذلك العضو الصغير الذي عن طريقه أعطى الله النفخة المحيية للإنسان الترابي، وبعد أن تأملنا بواجبات الأنف التي تفرض على الإنسان كله أن يقبل الرائحة الطيبة ويبتعد عن الرائحة الكريهة, نتجه الآن بنظرنا إلى عضو آخر في الرأس وهو اللسان. فهذا العضو، مع انه قطعة لحم طرية، ففعله كبير جداً. إن الله بحكمته وضعه في حبس ضمن جدار حصين مؤلف من صفيين محكمين من الأسنان، لأنه إذا خرج من سجنه يقوم بعمل جبار بحسب الدافع الذي يدفعه لذلك العمل. ويا لهول ذلك العمل عند انطلاقه! وقد وصفه الوحي بفم يعقوب الرسول بقوله ((هكذا اللسان أيضا هو عضو صغير ويفتخر متعظماً. هو ذا نار قليلة أي وقود تحرق. فاللسان نار. عالم الإثم. هكذا جُعل في أعضائنا اللسان الذي يدنس الجسم كله ويضرم دائرة الكون ويضرم من جهنم)) (يعقوب3:5و6). فكم من نيران حروب اشتعلت بين أفراد من الناس وبين دول وشعوب بسبب ما قاله اللسان ! وبالحق انه يطابق عليه قوله يعقوب الرسول في عدد 8 ((هو شر لا يضبط مملوّ سماً مميتا)).

هل تعلم أيها القارئ العزيز أن كل واحد من الناس له لسانان، بالواحد نبارك الله وبالآخر نلعن الناس الذين قد تكوّنوا على شبه الله؟ (يعقوب3:9). فهذا العضو الصغير هو بمثابة أداة طيّعة لترجمة ما تملي عليه الطبيعة في الإنسان العتيق الساقط، أو ما يلقنه الإنسان الجديد المخلوق بحسب البر وقداسة الحق. وقد قال الرب يسوع في (لوقا6:45) ((الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر. فانه من فضلة القلب يتكلم الفم)).

ومن هذا نعلم أن اللسان ليس سوى أداة لإعلان ما في داخل الإنسان. ومن الواقع نعرف أن المريض عندما يفحصه الطبيب يطلب منه أن يمد لسانه ليراه. على أن المرض ليس في اللسان،ولكن الطبيب يريد أن يستدل منه على حالة المعدة في الداخل. وبما أن هذه حالة اللسان فمن الضروري أن لا نسمح له أن يعمل بوحي الإنسان العتيق بل ان نجعله تحت سلطان الروح القدس في إنساننا الروحي لكي يحقن له أن يكون عضواً جديداً في الجسد الذي للمسيح ويُستعمل استعمالا صالحاً يرضي الله خالقه. ويجدر بنا أن نتأمل في بعض الأمور التي يطلبها الرب من هذا العضو فينا.

الأمر الأول: أن يكون لساننا لسان الصلاة والتكلم مع الله،لان الصلاة هي لغة المؤمنين الذين يتخاطبون مع إلههم يوميا. ولغة الصلاة والتكلم مع الله لا يتعلمها ولا يعرفها إلا الذين يتتلمذون على يدي المعلم الصالح ويتمثلون به.

من الإنجيل المقدس نعلم أن مخلصنا ابن الله المبارك كان ينتهز كل فرصة ليتخلي مع ألآب بالصلاة،إذ انه كان يجد لذة لنفسه بذلك. وقد علمنا أن نخاطب هذا ألآب السماوي بدالة البنين فنقول له ((يا أبانا)). ولكي نتمثل بابن الله بروح الصلاة،بل لكي يحق لنا أن ندعو الله أبا لنا، يشترط علينا أن نكون أبناء الله مولودين منه الولادة الثانية الروحية.

نحن لا نقصد الآن أن نشرح الصلاة النموذجية البديعة التي لقّننا إياها الرب يسوع في الإنجيل،و نكررها دائما،و مع ذلك يجب أن لا يبرح من الأفكار أن الذي لا يتمم شرط البنوة الروحية لا تقبل صلاته لان ألآب لا يعترف بأبناء له من كانوا غير مولودين منه.

حقا أن موضوع الصلاة واسع جدا، وليس بالإمكان الإحاطة به من كل النواحي في هذا الدرس،و نضطر للاقتصار على بعض ما يذكره الكتاب بصددها مما هو ضروري ولا غنى لنا عن معرفته. فالرب يسوع أكد لنا أن الصلاة يجب أن ترفع إلى ألآب باسمه، ((الحق الحق أقول لكم أن كل ما طلبتم من ألآب باسمي يعطيكم)) (يوحنا16:23). وهذا يعني أن ما يقدم من صلوات عن غير طريقة اسمه الكريم لا يستجاب.

و الكتاب كذلك ينبهنا إلى أن الصلاة التي لا تتفق مع إرادة الله بل تكون لغاية جسدية ولمقاصد عالمية لا تقبل: ((تطلبون ولستم تأخذون لأنكم تطلبون رديا لكي تنفقوا في لذاتكم)) (يعقوب4:3). ثم أن الرسول بولس يخبرنا أن الروح القدس هو الذي يعلمنا ماذا نصلي ( رومية8:26) ((كذلك الروح القدس أيضا يعين ضعفاتنا. لأننا لسنا نعلم ما نصلي لأجله كما ينبغي ولكن الروح نفسه يشفع فينا بأنات لا ينطق بها)). فلنصغ إذا لهذا المعلم الإلهي. وحينما تكون صلواتنا بإرشاده نكون واثقين بقبولها. وعلينا أن نجعل صلواتنا مقدمة بالإيمان، والرسول يعقوب يقول ((ليطلب بإيمان غير مرتاب البتة لان المرتاب يشبه موجا من البحر تخبطه الرياح وتدفعه. فلا يظن ذلك الإنسان انه ينال شيئا من عند الرب)) (يعقوب1:6و7). فعلينا أن نفكر بهبات الله لنا التي لا تحصى وهو ((الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين كيف لا يهبنا أيضا معه كل شيء)) (روميو8:32). واعترافاً منا بعظمة هباته يجب أن تكون صلواتنا بروح الشكر. والرسول بولس في (1تسالونيكي5:18) يقول ((اشكروا في كل شيء. لان هذه هي مشيئة الله في المسيح يسوع من جهتكم)).

الأمر الثاني الذي يطلبه الله منا هو أن يكون اللسان فينا ناطقاً بلغة خاصة لكي نظهر اختصاصنا بالرب يسوع الذي اشترانا لنكون ملكه. يحدثنا الإنجيل أن الرسول بطرس كان، عند محاكمة السيد المسيح، في غرفة خارجية. والحاضرون هناك أكدوا أن بطرس من أتباع يسوع وبرهنوا

على ذلك بلغته حيث قالوا له ((لغتك تظهرك)) (متى73:26). فلغتنا وما نقوله وننطق به، ينبغي أن يظهر اننا من أتباع المخلص العظيم.

في وقتنا الحاضر كثيرا ما نجابه هذا السؤال: ألا يجب أن يتكلم المؤمنون بألسنة نظير الذين حل عليهم الروح في يوم الخمسين، وفي غير مناسبات في العصر الرسولي؟ يقدم هذا السؤال في هذه الأيام بالنظر لوجود بعض الفرق الإنجيلية المستحدثة التي تؤكد أن المؤمن الحقيقي يجب أن يتكلم بألسنة، والذي لا يتكلم بها، حسب معتقدهم،يشكون في إيمانه ومسيحيته. والحقيقة التي يجب أن نصرح بها أن المؤمن ينبغي أن يتكلم بلغات لا يتكلم بها أهل العالم. ينبغي أن تكون لغته لغة الصلاة وقد مرت معنا الإشارة للصلاة الخاصة التي يصليها أولاد الله. ثم أن المؤمن يتكلم بلغة المحبة والتواضع والمسامحة ليظهر انه يتمثل بسيده ومتعلم منه هذه اللغة الممتازة.

والمؤمن يتكلم بلغة الكتاب المقدس لكي يُعرف بين الناس انه من دارسي كلمة الله، وعملا بتوصية الرسول بولس في (كولوسي6:4) القائلة ((ليكن كلامكم كل حين بنعمة مصلحاً بملح لتعلموا كيف يجب أن تجاوبوا كل واحد)). وقد أوضح الرسول بطرس هذا الأمر بقوله ((قدسوا الرب الإله في قلوبكم مستعدين دائماً لمجاوبة كل من يسألكم عن سبب الرجاء الذي فيكم بوداعة وخوف)) (بطرس15:3). وأضاف قوله ((إن كان يتكلم أحد فكأقوال الله. وإن كان يخدم أحد فكأنه من قوة يمنحها الله لكي يتمجد الله في كل شيء بيسوع المسيح الذي له سلطان إلى ابد الآبدين. آمين (1بطرس 11:4) ثم أن المؤمن يجب أن تكون لغته لغة الشهادة الحية ليسوع المسيح نتيجة لنيله هبة الروح القدس، لان الرب قال لتلاميذه ((ستنالون قوة متى حل الروح القدس عليكم وتكونون لي شهوداً)) (اعمال8:1). ومن سفر الأعمال نعلم أن الرسول بطرس بعدما اخذ هبة الروح استعمل لسانه للشهادة للرب. ومما يجدر ذكره أن المؤمن الحي بيسوع يؤدي شهادته لسيده ليس بلسانه فقط إنما بحياته وسلوكه ومعاملته مع الآخرين.

وللمؤمن لغة ممتازة، هي لغة الصدق والاستقامة. وكلمة الرب في (افسس25:4) تأمرنا قائلة ((لذلك اطرحوا عنكم الكذب وتكلموا بالصدق كل واحد مع قريبه. لأننا بعضنا أعضاء بعض)).

فللغات مثل هذه يجب أن يتكلمها المؤمنون بيسوع، المتعلمون في مدرسة الروح القدس، ويمتازون بها عن أبناء الدهر. والشروط اللازمة للتكلم بالألسنة هو أن يكون الكلام مفهوما عند السامعين. على أن الذين يزعمون حصولهم على هبة التكلم بالألسنة ويدّعون بذلك علناً، هم أنفسهم لا يعرفون ماذا قالوا والسامعون لا يفهمون أقوالهم أيضاً. لذلك لا نستطيع أن نوافق معهم على أن تكلمهم حقيقي كمتعلمين من الروح القدس. والوحي في شرحه موضوع التكلم بالألسنة في

(1كورنثوس ص 14) يقول في عدد 9 ((هكذا أنتم أيضاً إن لم تعطوا باللسان كلاماً يفهم فكيف يُعرف ما تكلمتم به. فإنكم تكونون تتكلمون في الهواء)). وفي عدد 33 أيضاً يقول ((فان اجتمعت الكنيسة كلها في مكان واحد وكان الجميع يتكلمون بألسنة فدخل عاميون أو غير مؤمنين أفلا يقولون أنكم تهذون)). بناءً على هذا أن التكلم بلغة لا يفهمها السامع تحسب من قبيل الهذيان.

كم نتمنى أن تتجدد هذه الهبة ويكون المتكلمون بألسنة أخرى حسبما يعطيهم الروح أن ينطقوا (اعمال4:2). فلو أتى البعض من أوربا أو من أميركا أو اليابان وكلمونا بلغتنا العربية مثلا بدون أن يكونوا قد تعلموها كلغة، فإننا نرفع رؤوسنا ونمجد الله باعتبار ذلك هبة الروح القدس.

فليت الله ينبِّه أفكار كل الفرق الإنجيلية ليجعلوا لغتهم تنطق برسالة الإنجيل للبنيان ولامتداد ملكوت الله بدلاً من لغة الانتقادات التي يوجهها بعضهم على بعض ويحكمون عليهم بالدينونة لأنهم لا يوافقون آراءهم على ما يعتقدون.

الأمر الثالث الذي يطلبه الرب منا هو أن يكون اللسان فينا أداةً للاعتراف به لأنه في (متى32:10) يقول ((كل من يعترف بي قدام الناس اعترف أنا أيضا به قدام أبي الذي في السموات)). والرسول بولس يؤكد لنا أن الاعتراف بالرب هو نظير الإيمان به بالقلب، وواحدهما لا يستقل عن الآخر لأنهما يعبران عن حصول المعترف على الخلاص. ففي (رومية10:9و10) يقول ((إن اعترفت بفمك بالرب يسوع وآمنت بقلبك أن الله أقامه من بين الأموات خلصت. لان القلب يؤمن به للبر والفم يعترف به للخلاص)).

انه لمما يؤسف أن الالحاد قد كثر بين الناس في هذه الأيام وصار البعض يتباهون بأنهم لا يقرون بوجود الله ولا يريدون أن يعترفوا به، لأنهم يحسبون ذلك من علامات الرجعية وعدم التقدم في مباراة ركب العصر المتحضر.

وما دمنا في مناسبة الاعتراف باللسان الذي وضعه الله فينا يجب أن نعلم إن المطلوب ليس فقط الاعتراف بالله كما سبق فقلنا، إنما أن يعترف كل واحد لله بكل خطاياه وآثامه لكي ينال المغفرة من الرب. والآية الشهيرة في (1يوحنا8:1و9) تقول ((أن قلنا انه ليس لنا خطية نضل أنفسنا وولـيس الحق فينا. إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل أثم)). ذلك لان ((دم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية)) عدد7.

و المرنم يؤكد لنا أن الاعتراف يجب أن يكون للرب رأساً. ففي (مزمور5:32) يقول ((أعترف لك بخطيتي ولا اكتم إثمي. قلت أعترف للرب بذنبي وأنت رفعت آثام خطيتي)). فمن

الخطأ إذاً أن ينتظر الواحد مغفرة خطاياه من إنسان خاطئ مثله يذهب إليه ليعترف له. ومن المشكوك فيه أن المعترف يعترف بكل شيء للإنسان بل يكتم عنه بعض الأشياء. ولا ريب انه إذا كتم بعض الخطايا يكون قد ارتكب خطية جديدة وهي الكذب. والكتاب يعلمنا أننا عندما نعترف للرب يجب علينا أن نقر بكل شيء أمامه لأنه فاحص القلب ولا يخفى عليه شيء. والكلمة في ( أمثال 13:28 ) تقول ((من يكتم خطاياه لا ينجح ومن يقرُّ بها ويتركها يُرحم)).

ثم من الضروري أن نعلم انه يوجد نوع آخر من الاعتراف وهو اعتراف الإنسان للإنسان. وقد قالت الآية في (يعقوب16:5) ((اعترفوا بعضكم لبعض بالزلات)). وهذا يرينا واجبنا أن نقرّ بأخطائنا نحو الآخرين ونعترف لهم بما قلناه عنهم أو فعلناه ضدهم. فان كانت الزلة ضد شخص معين يجب أن يكون الاعتراف له وليس لسواه من الناس، لأنه على أساس الاعتراف المتبادل تحصل المغفرة. والرب يسوع يحذرنا من عدم المغفرة لمن يعترف لنا بقوله في ( متى 15:6) ((إن لم تغفروا للناس زلاتهم لا يغفر لكم أبوكم أيضا زلاتكم)).

الأمر الرابع الذي يطلبه الله منا هو أن لا نستخف بنتائج الكلام بلساننا لأننا إذا استعملناه للكلام البطال يضعنا تحت الدينونة. وقد قال الرب في (متى36:12و37) ((أن كل كلمة بطالة يتكلم بها الناس سوف يعطون عنها حسابا يوم الدين. لأنك بكلامك تتبرر وبكلامك تدان)). وقد حذرنا أيضا من استعمال اللسان للأقسام ففي (متى34:5-37) يقول ((لا تحلفوا البتة. لا بالسماء لأنها كرسي الله. ولا بالأرض لأنها موطئ قدميه. ولا بأورشليم لأنها مدينة الملك العظيم. ولا تحلف براسك لأنك لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة بيضاء أو سوداء. بل ليكن كلامكم نعم نعم، لا لا. وما زاد على ذلك فهو من الشرير)). وقد ارشد روح الله الرسول يعقوب فنبّر على قول السيد فقال: ((لا تحلفوا لا بالسماء ولا بالأرض ولا بقسم آخر بل لتكن نعمكم نعم ولاكم لا لئلا تقعوا تحت الدينونة)) (يعقوب12:5).

الحقيقة هي أن أكثر المسيحيين لا يتحفظون لدواتهم من هذه الخطية بالمخالفة لأمر الرب، ويرتكبونها كالعادة. فيحلف الواحد أقساما كثيرة وبدون سبب وغير منتبه بذلك بأنه يتعدى وصية الرب. فلنحذر جميعنا من استعمال ألسنتنا للحلف أو للعّن لان الرب يأمرنا أن نبارك بدل أن نلعن. والكلمة في (رومية14:12) تقول ((باركوا ولا تلعنوا)). وزيادة على هذا نجد الرب يسوع يأمرنا بقوله ((باركوا لاعنيكم)) (متى44:5). ومما مرّ معنا، ومما نتعلم من أقوال الكتاب، نعلم أن اللسان فينا هو آلة جهنمية إذا ترك للعامل الطبيعي حسب الجسد،و لكن إذا سلمناه للرب وأخضعناه لسلطان الروح القدس فيصبح جديدا ناطقا بآيات الحمد والشكر لله الذي غيّره وجدده.

و الذي يزعم انه تجدد ولا يلجم لسانه يصرح الرسول يعقوب بان ديانته باطلة ((أن كان احد فيكم يظن انه ديّن وهو ليس يلجم لسانه بل يخدع قلبه فديانة هذا باطلة)). (يعقوب1:26) وفي (ص4:11) من رسالته ينبهنا لأخطاء نقع فيها كثيرا كمؤمنين،حينما نستعمل المذمة لسوانا لأنه يقول ((لا يذم بعضكم بعضا أيها الإخوة الذي يذم أخاه ويدين أخاه يذم الناموس ويدين الناموس. وأن كنت تدين الناموس فلست عاملا بالناموس بل ديانا له)).

احد الإخوة المتجددين في فلسطين ذهب إلى بحيرة طبريا واعتمد بمياهها بناء على اعترافه بالإيمان. ولكن ذلك الأخ كان مشهورا بالكلام على الآخرين. فقلت له مرة هل عمدت لسانك عندما تعمدت وأخضعته للرب أم لم تغطسه بالماء مع باقي أعضاء جسمك، وتريد أن تبقيه خارجا عن نطاق الحياة الجديدة لكي تستعمله للكلام بحق الآخرين.

فليساعدنا الرب لنكون كالرجل الذي ((في ناموس الرب مسرته وفي ناموسه يلهج نهارا وليلا)) (مزمور1:2) وأن ينطبق علينا ما ذكر في الكتاب من الوصف اللائق بالمؤمنين ((فم الصديق يلهج بالحكمة ولسانه ينطق بالحق)) (مزمور37:30) فتكون بركة في محيطنا ونمجد الله.

# الفم والشفتان

بعدما اطلعنا على أقوال الكتاب عن اللسان في الجسد كأداة صالحة أو شريرة، وكيف يجب أن يكون الاستعمال يرضي الله، نريد الآن الاطلاع على ما يقول الكتاب أيضا عن الفم والشفتين. من البديهي إن هذه الأعضاء، أي اللسان والفم والشفاه، هي كلها عائلة واحدة في الرأس القائم في الجسد الذي للمسيح، لان لهذه الأعضاء أعمالاً متقاربة كآلات في جهاز واحد تعمل بما يطلب منها من أجل النطق والتعبير عما في فكر الإنسان.

الرسول بطرس عندما ظهرت له الرؤيا في يافا وقيل له: ((قم. . . اذبح وكل)) اعتذر بقوله ((كلا يا رب لأنه لم يدخل فمي قط دنس أو نجس)) (أعمال14،10:13- 11:7، 8 ). وتمشياً على قاعدة الرسول بطرس ينبغي أن نحافظ على أفواهنا ولا نسمح لأي شيء دنس أن يدخلها ويضر بصحة الجسم الذي هو ملك المسيح. فالفم لم يخلق لتجرع كاسات المسكرات أو سموم المخدرات من أي نوع كانت. إنما لأخذ الفيتامين المادي أو الروحي الذي يعطي القوة للجسد والنفس ويبني خلايا الجسم لتكون الروح أيضا سليمة ونشيطة.

وكما يجب أن نحترس من السماح لأي شيء يضر أن يدخل في أفواهنا،يجب أن نحترس أكثر بأن لا نسمح لأي شيء نجس أن يخرج من أفواهنا. فمن الإنجيل نعلم أن الرب أوضح للسامعين بأمثاله أن أكل الخبز بأيد غير مغسولة، حسب تقليد الفريسيين، لا ينجس الإنسان. ففي (مرقس7:14و15) نقرأ ((ثم دعا كل الجمع وقال لهم اسمعوا مني كلكم وافهموا. ليس شيء من خارج الإنسان إذا دخل فيه يقدر أن ينجسه. لكن الأشياء التي تخرج منه وهي التي تنجس الإنسان)). وفي عدد 20-23 ذكر الأشياء التي تخرج من الإنسان وتنجسه ((ثم قال إن الذي يخرج من الإنسان ذلك ينجس الإنسان. لأنه من الداخل من قلوب الناس تخرج الأفكار الشريرة زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان)). وبما أن هذه حالة الفم والشفتين فلنقل مع المرنم : ((اجعل يا رب حارساً لفمي. احفظ باب شفتيَّ)). (3:141).

ففي درسنا عن الفم من الضروري أن نعرف ما هي الوظائف التي يقوم بها. من هذه الوظائف:

أولاً – المذاقة : عندما نتأمل في المقابلة بين الفم الطبيعي والفم الرمزي فينا نعلم أن المذاقة هي اختصاص الفم. وكما نذوق بالفم الجسدي كذلك نذوق بفم نفوسنا. وقد قالت الكلمة في (

أيوب34:3و4) ((الأذن تمتحن الأقوال كما أن الحنك يذوق طعاماً. لنمتحن لأنفسنا الحق ونعرف بين أنفسنا ما هو طيب)). وهذه العبارة بقول الكتاب توضح لنا وظيفة الفم الطبيعي والفم الروحي. ولذا يمكننا أن نتساءل ماذا نذوق في أفواهنا. طبعاً نذوق الأطعمة التي نأكلها بأنواعها.

على أن أفواهنا الروحية لها مذاقة أخرى أيضاً ينبغي أن نستطعم بها. ومما نذوق حسب قول المرنم : الرب ففي ( مزمور8:24) يقول: ((ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب. طوبى للرجل المتوكل عليه)). وهذا يعني أن نفوسنا تجد لذة عظمى بالرب حينما نأخذه متكلاً لنا ونختبر قوة محبته وفضل خلاصه برحمته ونعمته.

ثم نجد شيئاً آخر تتلذذ به نفوسنا أكثر مما تتلذذ أفواهنا بالطعام المادي الشهي. وهذا هو كلمة الله حينما نتذوق حلاوتها في نفوسنا. فالمرنم الذي اختبر في نفسه كلمة الله لم يقتصر على وصفها بأنها تفرح القلب وتنير العين وان قيمتها ثمينة أكثر من الذهب والإبريز الكثير، بل نراه في ( زمور19:10و11) يتابع كلامه بقوله عنها ((أحلى من العسل وقطر الشهد. . . وفي حفظها ثواب عظيم)).

فكما نتذوق الأطعمة ونسرّ بمضغها بالفم يجب أن نتذوق الطعم الروحي اللذيذ بكلمة الرب في درسها العميق المدقق.

كلنا نعلم أن الطعام الذي يتغذى به الجسم ويتقوى يجب أن نلوكه جيداً حتى تهضمه المعدة بسهولة. وهكذا بدرسنا لكلمة الله يجب أن نتفهمها جيداً أيضا حتى يكون باستطاعة جهاز الهضم في معدة معرفتنا الروحية أن يأخذ المقويات للحياة لكي ننمو في النعمة وفي معرفة الرب.

وحينما نتأمل بالكلمة المقدسة كطعام ينبهنا الرسول بطرس إلى لزوم اتخاذ الطعام الخالي من الغش إذ قال: ((كأطفال مولودين الآن اشتهوا اللبن العقلي العديم الغش لكي تنموا به إن كنتم قد ذقتم أن الرب صالح)) (1بطرس2:2و3).

قيل عن رجل إرلندي زاره مرة صديق له وأهداه العهد الجديد. وقد سر الرجل بمطالعته، وكان يصرف معظم أوقات فراغه بدرسه لأنه وجد فيه تعاليم لم يطلع عليها من قبل. وحدث مرة أن زاره كاهن الرعية وإذ وجده مولعا بدرس الكتاب بكل اهتمام، كغذاء لنفسه، نصحه بان يتركه،لأنه لا يستطيع أن يأخذ اللبن المغذي بذاته إلا عن طرق الكاهن،لأنه هو اللبّان، أي الذي يقدم اللبن للشعب. فقال الرجل: أرجوك أن تسمع لقصتي يا حضرة الكاهن. أنا اقتنيت بقرة وكنت احلبها بيدي وآخذ حليبها نقيا، ولكن حينما مرضت اضطررت أن اسلم العمل لرجل آخر فكان

يحلب البقرة ويعطيني اللبن لغذائي ممزوجا بالماء. ولكني عندما شفيت صرت احلب بقرتي بيدي وآخذ لبنها سليما من كل غش. وتابع الرجل كلامه للكاهن: نعم انتم لبّانون، ولكنكم لا تعكون اللبن للشعب نقيا بل تمزجونه بمواد أخرى.

فإن كان الناس يريدون أن يأخذوا الأطعمة الجيدة ويخافون من الفاسدة لئلا يتسمموا بها، فكم يجب أن نخشى من التسمم الروحي بقراءة الكتب والروايات المفسدة للأخلاق والإيمان. وكم يجب أن نحذر من التعاليم غير المأخوذة من الكتاب المقدس أو الممزوجة بتعاليم بشرية.

ثم من واجبنا أن تجوع نفوسنا وتعطش دائما إلى البر لكي ننال الشبع. فليت الله يجعل بالوقت الذي قال عنه في نبوة عاموس: ((هو ذا أيامٌ تأتي يقول السيد الرب أَرسل جوعا في الأرض لا جوعا للخبز ولا عطشا للماء بل لاستماع كلمات الرب فيجولون من بحر إلى بحر ومن الشمال إلى المشرق يتطوحون ليطلبوا كلمة الرب فلا يجدونها)) (عاموس8:11و12).

و كمؤمنين يجب أن تشتاق نفوسنا إلى الخبز الحي النازل من السماء والماء المروي من حياة المخلص المجيد فنتقدم لمائدة الرب ونتناول الخبز والكأس الممثلين لجسد الرب الكسر على الصليب ودمه الذي سفك من جسده وبذلك نأخذ الرب يسوع بالإيمان لقلوبنا مميزين جسده لئلا نأخذ الدينونة.

ثانياً: من وظيفة الفم أن يعرف حالته التي هو فيها كمدنَّس بالخطية ويعترف بذلك بحضرة الإله القدوس. أن اشعيا عندما عرف انه نجس الفم والشفتين واعترف للرب بذلك نسمعه يحدثنا عما حصل له قائلاً: ((طار إليَّ من السرافيم وبيده جمرة قد أخذها بملقط من على المذبح ومسّ بها فمي وقال إن هذه قد مسّت شفتيك فانتزع إثمك وكفِّر عن خطيتك)) (اشعيا6:6). ونقرأ أيضا أن ارميا اعتذر لله بأنه ليس أهلا للرسالة التي كلفه الله بحملها وقال ((آه يا سيد الرب إني لا اعرف أن أتكلم لأني ولد)) (ارميا1:6)، وفي عدد 8 نجد الرب يشجعه بقوله ((لا تخف من وجوههم لأني أنا معك لأنقذك يقول الرب))، وفي عدد 9 يخبرنا عما فعل الرب به حتى أهّله لحمل الرسالة إذ قال ((مدَّ الرب يده ولمس فمي وقال الرب لي ها قد جعلت كلامي في فمك)).

فما أعظم فائدة هذه التعاليم من كلمة الرب لنا لأنها ليس تحثنا على حمل الرسالة بإنجيل الخلاص للآخرين فحسب إنما ترينا كيف يطهر ويكرس الرب فينا. فهل يقول الواحد منَّا كما قال اشعيا: ((هاأنذا أرسلني)) (اشعيا6:8).

ثالثاً: من وظيفة الفم انه يحسن الاستعمال بحيث يكون أحياناً مفتوحاً وأحياناً مغلقاً. يجب أن يكون مفتوحاً لكي يضع الله فيه ما يشاء من ذاته لأنه في (مزمور10:81) يقول ((أفغر فاك فأملأهُ)) أي اجعله مفتوحاً على سعته لتأخذ الهبة السماوية المالئة التي تجعل الفم مفتوح يأخذ من الرب كما نقرأ في (رؤيا9:10و10) ((فقال لي خذ – السفر الصغير – وكله. . . فأخذت السفر. . . وأكلته فكان في فمي حلواً كالعسل)). ثم أن الفم المفتوح ليس فقط يأخذ إنما يعطي أي انه يعطي الشمر بأفواه معترفة باسمه وتفيض بحمده وبالصلوات التي نرفعها إلى عرش النعمة مع الشهادة للرب كعبارة عن امتلائنا من روح الله. وقد أشار الرب إلى ذلك في (يوحنا 38:7و39) بقوله ((من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي. قال هذا عن الروح الذي كان المؤمنون به مزمعين أن يقبلوه)).

أما الحين الآخر الذي نجعل الفم فيه مغلقاً فهو احتراسنا من استعمال الفم للكلام القبيح والألفاظ الردية والكذب وغير ذلك مما يدنس الحياة. ففي (افيي29:4) تأمرنا كلمة الله قائلة ((لا تخرج كلمة ردية من أفواهكم بل كل ما كان صالحاً للبنيان حسب الحاجة لكي يعطي نعمة للسامعين)). وفي (كولوسي8:3-10) تقول ((وأما الآن فاطرحوا عنكم أنتم أيضا الكل الغضب السخط الخبث التجديف الكلام القبيح من أفواهكم. لا تكذبوا بعضكم على بعض إذ خلعتم الإنسان العتيق مع أعماله ولبستم الجديد الذي يتجدد للمعرفة حسب صورة خالقه)). والنبي داود ينبهنا للتمثل به بقوله ( مزمور1:39) ((أحفظ لفمي كمامة فيم الشرير مقابلي))، وفي اللغة العبرانية ((كمامة)) تعني لجاماً. ذلك لأن العدو في المرصاد ينتهز الفرصة ليوقع الإنسان في خطية الكلام. ويجدر بنا أن نصغي لأقوال الحكيم في (امثال24:4) ((أنزع عنك التواء الفم وأبعد عنك انحراف الشفتين)).

و كلمة الله أيضا من المرآة في العبادة الخارجة من الشفاه والفم. وقد وردت الآية في (اشعيا13:29) قائلة ((هذا الشعب قد اقترب إليَّ بفمه وأكرمني بشفتيه وأما قلبه فأبعده عني وصارت مخافتهم مني وصيَّة الناس معلَّمة)). ونظراً لأهمية التحذير بهذا الصدد قد كرر الرب يسوع القول في (متى7:15و8) إذ انه حسب مثل ذلك التعبد غير مقبول عند الله.

رابعاً: من الوظائف المكلف بها الفم والشفاه بالقيام بها هي أن تكون كآلات موسيقية لتبيح الرب بأنغام مقدسة تليق به. والمرنم في (مزمور1:34) يقول ((أبارك الرب كل حين. دائماً تسبيحه في فمي)). وعندما قدم داود توبته لله طلب منه كما في (مزمور15:51) أن يجعل شفتيه وفمه مكرسة للتسبيح والشهادة له إذ قال (( يا رب افتح شفتيَّ فيخبر فمي بتسبيحك)). وما أحسن أن

نذخر في نفوسنا ما أشار إليه الرسول بولس في (كولوسي16:3) حيث يقول ((لتسكن فيكم كلمة المسيح وأغاني روحية بنعمة مترنمين في قلوبكم للرب)).

فالشفتان لم تخلقا لمصّ السيجارة والغليون أو لمصاصة ((نربيش الأركيلة)) إنما لتسبيح اسم الرب والتغني بمجده.

خامساً: من وظائف الشفاه أن تحتفظ بزينة خاصة كعروس للمسيح، لأننا نجد الرب يسوع يصف عروسه الرمزية المحبوبة هكذا ((شفتاك كسلكة من القرمز)) (النشد3:4) أي أن تكون حمراء كالقرمز. وأي شيء يجعل شفاه المؤمنين ملونة بلون أحمر إلا بان تكون مصبوغة روحيا بدم الفادي. كم تستعمل النساء المواد المسماة ((أحمر الشفاه)) لكي تظهر جميلة بنظر الناس، ولكن مطلب الرب، لا من النساء فقط بل من الرجال أيضا. نحن اللذين منا تكون عروس المسيح الروحية المحبوبة الجميلة، بان يكون على شفاهنا دم المخلص حيث تنطق بفعل التقديس بكامل نواحي الحياة. فهل نزين شفاهنا بصبغة الدم لتكون معبرة عن فعل الفداء في النفس كعلامة للخليقة الجديدة.

# اليد

كنا في الدروس السابقة نتأمل في الأعضاء في الرأس، وآخرها الفم والشفتين. أما الآن فنتأمل في عضو في الجسد له أهميته ولكنه ليس من أعضاء الرأس. فاليد كعضو في الجسم عليها مسؤوليات كثيرة نحو الجسد الذي للمسيح. والرسول بولس في (1كورنثوس12:21) يقول ((لا تقدر العين أن تقول لليد لا حاجة لي إليك)). وهذا يرينا أن الأعضاء جميعها لها لزومها في الإنسان لأنها تقوم بواجباتها نحو بعضها بعضاً ولا غنى عن أي واحدة منها.

ففي درسنا الآن ننظر إلى الأعمال المطلوبة من اليد التي عند قيامها بمسؤولياتها تثبت أنها جزء عامل في الجسد. من المعلوم أن الكتاب المقدس في مواضع عديدة يذكر اليد بمعانٍ شتّى غير معناها الحرفي، أي العضو المعلوم. والكتابات والاصطلاحات المجازية عن اليد كثيرة في الكتاب وترمز إلى الاستعمال بطرق متنوعة لا متسع من الوقت لذكرها هنا.

انه من حكمة الله الخالق العظيم في خلقه الإنسان انه وضع له في جسده يدين اثنتين لا واحدة لكي يتعاونا في العمل، إذ انه من الصعب على الإنسان أن يقوم بالعمل المنتج كما يجب حينما تصاب إحدى اليدين بمرض أو شلل أو قطع. والإنجيل المقدس يخبرنا عن العجيبة التي أجراها الرب إظهاراً لشفقته على الإنسان الذي كانت يده يابسة، فقد شفاها حينما دعاه وقال له ((مد يدك. ففعل هكذا فعادت يده صحيحة كالأخرى)) (لوقا6:10).

فاليدان في الجسد عضوان ضروريان كما نعلم من أجل استعمالها للمنفعة العامة. هل علم احد منكم أيها القرّاء الأعزاء أن احد من الناس له أربعة أيدي. حقاً لم يُعرف عن مخلوق بشري عجيب كهذا، ولكننا نؤكد لكم أن الكثير من الناس لكل واحد منهم أربعة أيدي. فكل مؤمن الذي هو خليقة جديدة بالإيمان بيسوع يخلق له الله يدين روحيتين في نفسه من أجل الاستعمال في الأخذ والعطاء نظير اليدين الطبيعيتين.

فيد المؤمن الواحدة هي الإيمان التي بها يتناول ما يعطيه الله من بركات ونعم روحية. وهذا هو الذي دعا المرنم في (مزمور116:13) أن يقول ( كأس الخلاص أتناول ) أي أن يأخذ بيد الإيمان. على انه من محبة الله لنا لا يكلفنا، من أجل الحصول على خلاصه الكامل المجاني، إلا أن نمدّ يد الإيمان ونأخذ عطيته الثمينة بالشكر القلبي.

قيل عن امرأة من نساء الكنيسة، بعدما سمعت عظة الراعي مرة عن حصول المؤمن على الخلاص، وقالت له: أنا صار لي ثلاثون سنة أحضر الاجتماعات وأسمع الوعظ وأخذ الشركة المقدسة ولكني لحد الآن لا أشعر إني حصلت على الخلاص. أجابها القسيس: غداً إن كنت تريدين أتناول الشاي معك في بيتك ونبحث في الموضوع. فرحَّبت المرأة به سلفاً. وفي اليوم التالي أعدت المرأة كل شيء من أنواع الكعك والحلوى. وحينما حضر الزائر راعيها قبلته بكل سرور. وفي وقت مناولة الشاي سكبت وقدمت له الفنجان وقالت تفضل. وقبل أن يمد يده ويأخذ منها قال: أظن أن الترتيب بيننا منذ أمس أن اشرب الشاي عندك. قالت نعم وها أنت ترى كل شيء جاهز وقد أعددته لهذه الغاية والآن أقدم لك الفنجان تفضل وخذهُ. لم يمد القسيس يده ليأخذ منها بل قال ثانية: أرجو أن لا يكون حصل سوء تفاهم بيننا البارحة عن مجيئي اليوم لأخذ الشاي معك. استغربت المرأة الأمر وقالت: يا حضرة القسيس الشاي حاضر وأنا أرجوك أن تتناول مني الفنجان وتشرب هنيئاً. عاد القسيس وكرر قوله: أنا متأسف جداً أن أكون أزعجتك بمجيئي بدون أن تأخذي الوقت وتحضري الشاي. عندئذ أظهرت المرأة دهشتها وقالت يا سيد أنا متعجبة كم مرة صرت مقدمة لك الشاي وأنت لم تأخذه مني. فقال لها إنك استغربت الأمر لأنك تقدمين لي الفنجان وأنا لحد الآن لم أتناوله من يدك، ألا تنظرين إن الأغرب من هذا أن الرب يسوع صار له ثلاثون سنة يقدم لك خلاصه بالنعمة الذي أعده كاملاً بالفداء، ولا يكلفك إلاَّ بأن تمدي يدك وتأخذي هبته المجانية بالإيمان وتتمتعي باللذة الروحية بالفداء السماوي لنفسك بكل يقين. إن كان من مانع بعدم حصولك على الخلاص الأكيد فهو عدم قبولك إياه. ويمكنك الآن أن تأخذيه بالشكر وتفرحي بالرب الذي يتخذ مركزه في حياتك.

فعمل يد الإيمان في النفس المخلَّصة هو أن تتناول من الرب. واليد الثانية في النفس هي التي تقدم للرب القلب العتيق لأنه يقول ((يا أبني أعطني قلبك)) (أمثال26:23)، وبهذا يتم عمل اليدين الروحيتين. بالواحدة يقدم الإنسان خطاياه ويضعها على الفادي الحبيب وباليد الأخرى يأخذ الغفران الكامل. يضع المؤمن اليد الواحدة على خروف الفصح تعبيراً عن اعترافه بخطاياه وتوبته عنها، وإقرارا بكمال ذبيحة الكفارة المقدمة عنه، وباليد الأخرى يتناول صك القبول عند الله مكتوباً بالدم الزكي ومختوماً بختم الروح القدس.

ثم إن اليد الجديدة في المؤمن هي الإرادة التي حالما تسمع أذنه صوت المخلِّص يقرع على الباب في الحال تفتح الباب وتقبله مع بركاته التي يحملها للنفس. فيا لها من نعمة للإنسان الذي يحصل على يدين جديدتين ويستعملها كما يطلب الله منه.

وبعدما نظرنا نظرة عاجلة على اليدين الروحيتين في حياة المؤمن نريد أن نعود للتأمل في اليد الطبيعية فينا وعملها.

أول شيء لتأملنا أن ننظر للأشخاص المسجلة أعمالهم في الكتاب فنتمثل بهم ونعمل بأيدنا نظيرهم. من أولئك الأشخاص طابيثا، أي غزالة، المذكورة في (أعمال9:36-43) فقد كانت تلك التلميذة ((ممتلئة أعمالاً صالحة وإحسانات كانت تعملها)) (عدد36)). والنساء والأرامل الحزينات على وفاتها أرين بطرس الرسول الأقمصة والثياب التي كانت تعملها غزالة مما يدل على التقدير لعمل يديها النشيطتين اللتين استخدمتهم الخياطة الملابس للمحتاجين. فمن الواجبات على يد المؤمن والمؤمنة إذاً أن تكون متمثلة بطابيثا هذه. وليس فقط للتمثل بشخصية أخرى من شخصيات الإنجيل وهي مرثا أخت لعازر التي كانت منصرفة بكل قوتها لخدمة ضيفها العظيم السيد المسيح وقد سجل الإنجيل خدمتها في (لوقا38:42). من المحتمل أن نفكر أن المسيح لم يقدِّر لمرثا خدمتها. والذي يتراءى لنا كتوبيخ من الرب لها، لم يكن هكذا بالتمام، إنما لامها لأنها أهملت الأمور الروحية التي لا غنى عنها وحصرت اهتمامها بإعداد الأطعمة للجسد. فالخدمة للسيد الرب مطلوبة من كل واحد من المؤمنين بشرط أن تقترن بالإصغاء لتعليمه والعمل به. ونلاحظ أن الرب الذي مدح مريم لأنها كانت تصغي لأقواله، و لم تشترك بالعمل مع أختها، مدحها في مناسبة أخرى حينما قامت بالخدمة له وأقدمت على العمل المسجل في الإنجيل، بسكبها الطيّب الثمين على جسده. وهذا يدل على أن لكل شيء وقتاً. للعمل من أجله وقت، وللإصغاء لكلامه وقت أيضاً، ولا يغني واحدهما عن الآخر.

في عبارة مأثورة ذكرها رجل الله الدكتور القس إبراهيم سعيد في شرحه لإنجيل لوقا تستحق أن تذكر هنا بهذه المناسبة فقد قال: ((ما أحوج المسيحية إلى مريم ومرثا معاً. فلكل واحدة منها عمل خاص. إن كنيسة كلها مريمات لا تقل عن كنيسة كلها مرثات)).

ومن الشخصيات في الكتاب مريم المجدلية وخدمتها بيدها وبمالها للرب يسوع الذي أحسن إليها وحررها من سلطة الأرواح الشريرة. وقد قدرت له عمله العظيم نحوها بخدمتها المتواصلة له. وما أحرى كل مؤمن أن يتخذ هذا المثال لنفسه فيقدم بخدمة الفادي المجيد بأي شكل كان تقديراً لفضل عمله الذي به حرَّر النفس من عبودية الخطية وسلطان إبليس.

وهل نستطيع أن نتجاوز المثال البديع في حياة الرسول بولس الذي قال عن نفسه ((حاجاتي وحاجات الذين معي خدمتها هاتان اليدان)) (أعمال20:34). وفي (افسس4:28) نسمعه يقول ((لا يسرق السارق في ما بعد بل بالحري يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج)).

ومن الحادث المذكور في الإنجيل عن إشباع الآلاف من الجياع نتعلم مثالة قيّمة: فالتلاميذ قدموا بأيديهم الخبزات والسمكات إلى الرب ليباركها، وبعد أن باركها أخذوها بأيديهم ووزعوها على الجياع. ويجدر بنا كمؤمنين أن نتخذ من هذا المثال درساً لنا نحن وهو أن نقدم ما عندنا للرب لكي يباركه ومن ثم نتناوله من يده ليقيت الجياع إلى خبزة الحياة.

ويد المؤمن يجب أن تكون عاملة أيضا نظير ما عمل السامري الصالح لمساعدة الجريح بين أورشليم وأريحا (لوقا10:30-37). فالسامري أكمل العمل الجليل إذ انه قام بما يعلمه الكاهن أو اللاوي، وبيده أركب الجريح على دابته بعد أن وضع الزيت المطهر على جراحه. و لم يكتف بهذا بل دفع من ماله لصاحب الفندق لكي يهتم بالعناية ومعالجة المسكين. وما أحرانا أن نردد قول الترنيمة رقم262:

نشعر في ضيق الأخ عند الملمات وبيد لا ترتخي لعونه نأتي

والكتاب المقدس في (أمثال31:13) يشيد بذكر المرأة المثالية بقوله ((تشتغل بيدين راضيتين)). وينعتها ((بالفاضلة التي يفوق ثمنها اللآلئ)). وهذا يرينا أن أيدي النساء نظيرها خلقت للعمل الجيد و لم تخلق لتكو معرضاً لأنواع الأساور الذهبية على المعصم والخواتم الثمينة في الأصابع، بل لكي تمتد للبذل والعطاء في سبيل الرب.

ومما يستحق الانتباه في كلمة الرب أنها ترينا الفرصة الثمينة في الحياة للقيام بالعمل الواجب. وقد قال الرب في (يوحنا9:4) ((يأتي ليل حين لا يستطيع أحد أن يعمل)) فالفرصة تطير إذا لا يغتنمها الواحد. وفي (الجامعة9:10) تقول الكلمة ((كل ما تجده يدك لتفعله فافعله بقوتك لأنه ليس من عمل ولا اختراع ولا معرفة ولا حكمة في الهاوية التي أنت ذاهب إليها)). وفي (ص11:6) تقول ((في الصباح ازرع زرعك وفي المساء لا ترخِ يدك لأنك لا تعلم أيهما ينمو هذا أو ذاك أو أن يكون كلاهما جيدين)). فهل نقوم بالعمل الذي يطلبه الرب منا في مهلة الحياة القصيرة التي لنا في هذه الدنيا ونتمم مشيئة الله.

ثاني شيء نتأمل فيه بدرسنا عن اليد في الجسد الذي للمسيح هو الصفات الحسنة التي توصف بها اليد: منها أن تكون نقية ونظيفة من كل الأوساخ والأدناس التي تشوه الحياة وتسيء إلى العامل بها. والرسول يعقوب يقول ((نقوا أيديكم أيها الخطاة وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين)) (يعقوب4:8). والإنجيل المقدس يشجب بيلاطس الشرير الذي أسلم السيد للجلد والصلب وظن انه

يغسل يديه تُضمَن له البراءة من دم يسوع، ولكن لا يمكن أن يزيل الغسيل بالماء أدناس اليدين، وهيهات أن اللسان الذي نطق بالحكم الجائر على البار أن يكون مستحقاً للتبرير في محكمة الله!

ومن الصفات اللائقة ليد المؤمن هي أن تكون سخية في العطاء والإحسان والصدقات لخدمة الرب والآخرين. وقد قال الرب في (متى6:3و4) ((وأما أنت فمتى صنعت صدقة فلا تعرّف شمالك ما تفعل يمينك. لكي تكون صدقتك في الخفاء. فأبوك الذي يرى في الخفاء هو يجازيك علانية)).

ومن الصفات التي تتصف بها يد المؤمن هي أن تكون مرفوعة بالصلوات والتضرعات إلى الله. وقد أعطانا الروح القدس على فم الرسول بولس تنبيهاً لذلك بقوله في (1 تيموثاوس 2:8) ((أريد أن يصلي الرجال في كل مكان رافعين أيادي طاهرة بدون غضب ولا جدال)).

والكتاب يحدثنا عن الغلبة والانتصار على العدو طالما كانت الأيدي مرفوعة باستمرار. ففي (سفر الخروج17:11و12) نقرأ عن الحرب مع العمالقة. وقد كانت الغلبة مضمونة طيلة الوقت الذي فيه كانت يدا موسى مرفوعتين، وحينما كان يخفض يديه كانت الغلبة للعماليق. وبما أن أعداءنا اشد قوة من رجال عماليق فعلينا أن نواصل برفع أيدينا بالتضرعات إلى عرش النعمة بصلوات حارة بالإيمان لكي تكون لنا النصرة الأكيدة على إبليس خصمنا الأسد الزائر الذي يجول ملتمساً من يتبعه هو (1بطرس5:8). فلنقاومه بالسهر والصحو والصلوات والرسوخ في الإيمان.

ثالث شيء نتأمل فيه في درسنا عن يد المؤمن هو أن تكون متمرنة على استعمال السيف كيد الجندي المحارب في جيش قائده. ففي (مزمور149:5و6) يقول المرنم ((ليبتهج الأتقياء بمجد ليرنموا على مضاجعهم تنويهات الله في أفواههم وسيف ذو حدين في يدهم)). والرسول بولس في (افسس6:10-17) يأمرنا بأن نحمل سلاح الله الكامل. ومن جملة الأدوات التي يعنيها للحرب التي يقوم بها المؤمن ضد قوات الشر هو السيف ((سيف الروح)) الموصوف بأنه ((أمضى من كل سيف ذي حدين)). ومعنى وجود سيف كلمة الله بيدنا هو أن نكون مستعدين في كل وقت لإشهاره، في وجه الخطية وقوات الشر وكل البدع والضلالات.

رابع شيء نتأمل فيه في درسنا عن يد المؤمن هو أن تحمل علامة من أقوال الله التي أوحى بها. ففي (خروج13:9) أوصى اله بقوله ((يكون لك علامة على يدك وتذكاراً بين عينيك لكي تكون شريعة الرب في فمك)) وفي (تثنية6:8) يكرر الرب أمره بقوله ((اربطها علامة على يدك ولتكن عصائب بين عينيك واكتبها على قوائم أبواب وعلى أبوابك)). وقد استنتج اليهود إن هذه الأوامر حرفية، ولذلك يكتبن الوصايا على ورقة صغيرة ويضعونها ضمن ماسورة من الصفيح يسمرونها على

قائمة باب البيت. ويكتبوها على لفافة من القماش، وحينما يتلو الواحد صلاته كفرض، يخرج من جيبه اللفافة ويربطها على يده لحظة من الزمان، ثم يضعها على جبينه، ويكون بذلك قد حفظ الوصايا وأكمل مطلبها الحرفي أوتوماتيكياً. وقد رأيت أنا بعيني بعضهم يفعل ذلك إتماماً لأمر الله، مع انه تعالى وتبارك أسمه، لم يقصد استعمالها بهذا الشكل في عبادة تمثيلية لا حياة فيها.

أما نحن فكمؤمنين بالحق يجب أن ندرك مطلب الله بأن تكون أقواله بين أيدينا وفي فمنا وفي بيوتنا موضوع لهجنا والتعليم بها بل أن تكون مكتوبة على قلوبنا ((رسالة المسيح. . . . مكتوبة لا بحبر بل بروح الله الحيّ. لا في ألواح حجرية بل في ألوح قلب لحمية)) (2كورنثوس3:3).

خامس شيء نتأمل فيه في درسنا عن يد المؤمن هو أن تكون شديدة التمسك بما سلّم لها وتثبت محتفظة على أي شيء أو خدمة يؤتمن عليها. وقد قال الرب يسوع في (لوقا9:62) ((ليس أحد يضع يده على المحراث وينظر إلى الوراء يصلح لملكوت الله)). ومن قوله هذا نأخذ درساً ثميناً لحياتنا وهو الاستمرار بإتباع الرب ((أسعى نحو الفرض لأجل جعالة دعوة الله العليا في المسيح يسوع))(فيلبي3:14). ومن هذه العبارة أيضاً نأخذ الدس التعليمي للحذر من الارتداد والرجوع إلى الوراء أو الانجذاب لأشياء العالمية وغرور الدنيا، لئلا نخسر ما وضعه الرب أمامنا من أهداف سامية، بل من هذا نتعلم ضرورة تكريس الحياة للرب وخدمة إنجيله. والرسول بولس ذكّر تلميذه تيموثاوس بأهمية الموهبة التي فيه بوضع الأيدي عليه للخدمة حيث قال في (2تيوثاوس1:6) ((فلهذا السبب أُذكِّرك أن تضرم أيضاً موهبة الله التي فيك بوضع يديَّ)). فإن كان مجرد وضع أيدي الرسل يجعل النفس مكرسة للرب وتتولد فيها شعلة الموهبة الإلهية، أفلا يجب أن نتيقن اننا كمؤمنين يضع الرب نفسه يده بروحه القدوس على كل واحد منّا ليجعلنا مكرسين له لخدمته وملتهبة قلوبنا محبة له وشوقاً لخلاص النفوس التي مات هو من أجلها.

وبعد أن تعلمنا من الآيات المقدسة والأمثلة عن أشخاص الكتاب كيف يجب أن تكون وكيف نستعمل أيدينا في الجسد الذي للرب، ينبغي أن لا تبرح من أفكارنا تحذيرات الرب عن الأعضاء التي تسبب العثرات وتصبح مستحقة القطع. فقد قال السيد في (متى5:30) ((إن كانت يدك اليمنى تعثرك فاقطعها وألقها عنك. لأنه خير لك أن يهلك أحد أعضائك ولا يُلقى جسدك كله في جهنم)). وبقوله هذا يعلمنا وجوب الاهتمام بأعضاء جسدنا جميعها حتى تكون كما يريدها هو آلات بيده للبر والتمجيد.

# الرِّجل

لقد تذكرنا في دروسنا السابقة عن الأعضاء في الجسد الذي للمسيح كملك له لأنه اشترانا لقنية أبدية. وفي آخر درس بحثنا عن اليد كعضو عامل في الجسد، ولآن نبحث عن الرجل فيه. فكما أن اليدين هما الأداتان للعمل فالرجلان أيضاً هما العضوان اللذان يحملان الجسد كله وينقلانه وبدونهما لا يستطيع الإنسان أن يسير وينتقل من مكان إلى آخر، بل يضطر أن يحمله الآخرون كما حمل الرجال الأربعة المفلوج ووضعوه أمام الرب، أو أن ينقل على آله ما، كالمقعد الذي كان يحمل ويوضع عند باب الهيكل ( أعمال3:1-16).

نحن نشبه هذا الرجل لذي قال الكتاب عنه انه خلق من بطن أمه كسيحاً و لم يقدر أن يمشي على رجليه. ونحن نشبه رجلاً آخر أيضاً يحدثنا عنه الإنجيل انه ولد من بطن أمه أعمى.

فبحسب الطبيعة الساقطة كل إنسان مولود بحالة مشوهة بالنفس الحاملة عيوب الخطية وقبائحها. ألم يقل النبي داود ((هاأنذا بالإثم صُورت وبالخطيئة حبلت بي أمي)) (مزمور51:5). فالتغيير الذي حصل في جسدي هذين الرجلين تم بقوة الرب يسوع ومن أجل تمجيده، وكل تغيير يحصل في النفس لمحو عيبها يتم بقوه المخلص المبارك. والمقعد تشددت رجلاه وكعباه وأعصابه بقوة أسم يسوع. وهكذا نحن نظيرهما يعوزنا عمل الرب فينا بقوته التي لا تعجز بل قادرة أن تغير الوضع الروحي فينا، وعندئذ تحصل النتائج الظاهرة في حياتنا فنصبح خليقة جديدة تمجد الله. وهنا نلاحظ أن المقعد، كما قال الكتاب عنه، صار يسبح الله ويتهلل ويقفز بعامل الفرح العظيم في نفسه، وإنه لم يرض أن يكون محمولاً بعد ليوضع عند باب الهيكل ويطلب صدقة من الناس، بل دخل إلى الهيكل ليعبر عن تلذذه بالوجود في حضرة الرب ليعبده وليعترف بفضله ويشكره من أجل ما حصل عليه من شفاء.

ونلاحظ انه صار ملازماً للرسل ومتمسكاً بهم لعلن أمام الجميع ما عملت فيه قوة أسم يسوع بالإيمان الحي بواسطتهما. هكذا نحن، على قياس هذه الأمثلة، يجب أن تظهر فينا النتائج في نيلنا الخلاص والحياة الجديدة بيسوع. لتصبح حياتنا حياة نشاط روحي وتسبيح وشكر وشهادة لتمجيد الرب، وتتولد في نفوسنا الأشواق لوجودنا مع الرب وفي حضرته ونلازم السير مع رجال الإيمان في سماع أقوالهم وننقاد معهم في طريق الخدمة للرب الذي أحبنا وفدانا.

وبما أن الرجل، في درسنا، لها أهمية في الجسد، فمن الواجب علينا أن نرى ما هي الشروط التي يطلبها الله منا بموجب أقوال الكتاب المقدس عن هذا العضو فينا.

الشرط الأول: السلوك في السبل المستقيمة. ففي (عبرانيين12:13) يقول لنا الوحي ((اصنعوا لأرجلكم مسالك مستقيمة لكي لا يعتسف الأعرج بل بالحري يشفى)). وهذا يعني أن لا نجعل سلوكنا بطرق معوجة ونتعرض للمعاثر والسقوط في فخاخ التجارب والمعاصي. وما أكثر الأقوال الإلهية عن سلوك المؤمن في حياته. ففي (أمثال4:26و27) نقرأ قولها ((مهّد سبيل رجلك فتثبت كل طرقك. لا تمل يمنى ولا يسرى باعد رجلك عن الشر)). وفي المزمور الأول نسمع المرنم يقول ((طوبى للرجل الذي لم يسلك في مشورة الأشرار وفي طرق الخطاة لم يقف)). وحينما يتكلم الكتاب عن أبناء الدهر اللذين يعيشون في الخطية يقول ((يا أبني لا تسلك في الطريق معهم. امنع رجلك عن مسالكهم. لأن أرجلهم تجري إلى الشر وتسرع إلى سفك الدم)) (أمثال1:15و16).

في عصرنا الحاضر تهتم الحكومات بشق الطرق الجديدة وتوسيعها في المدن والقرى لتسهيل السير فيها. أما الطرق المجازية التي يقصدها الكتاب فهي الطرق القديمة. والوحي بفم النبي أرميا، يقول: ((هكذا قال الرب. قفوا على الطرق وانظروا واسألوا عن السبل القديمة أين هو الطريق الصالح وسيروا فيه فتجدوا راحة لنفوسكم)) (أرميا6:16). إن قول الله هذا يستحق أن نأخذه بعين الاعتبار كتحذير لنا كي لا مسير في طرق البدع والضلالات المستحدثة والتعاليم والعقائد التي تأتي من وقت لآخر جديدة تجعل الإنسان بحيرة أين يسير. ولذلك حسب أمر الله هذا يجب أن نسأل عن الطريق القديمة التي فتحها لنا الرب بخلاصه، طرق الإيمان به لنصل إلى قدس الأقداس السماوية. وقد حدَّد الرسول يهوذا ذلك الإيمان الأساسي بقوله ((الإيمان المسلَّم مرة للقديسين)) ( يهوذا عدد3).

ولكي لا تخدعنا طرق الضلال الكثيرة التي يدعوا إليها رجال البدع بتعاليمهم التي لا تتفق مع أقوال الله، نجد الوحي يحذرنا بعبارة هامة يكررها مرتين في (أمثال 12:4و 25:16) حيث يقول ((توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة وعاقبتها طرق الموت))، وبقوله ينبهنا لاستعمال قوة التمييز في نفوسنا بالاعتماد على إرشاد روح الله لكي نحترس من الغرور بتمويه الآراء والتعاليم البشرية التي تأتي من مصادر عالمية لأنها مهما ظهرت جيدة فعاقبتها خطرة لمن يسير فيها.

وما دمنا عير بعيدين عن موضوع الطرق والسير فيها نلاحظ التناقض بين رأي الرب يسوع والترتيبات العالمية في هذا الصدد. فالناس، حسب الواقع، يفضلون السير في الطرق الواسعة ويكرهون الضيقة، ومعهم حق بذلك. أما الرب، تبارك أسمه، فينصحنا أن نسير في الطريق الضيق مهما كان السائرون فيه قليلين لأنه يؤدي إلى الحياة، ويحذرنا من السير في الطريق الواسع مهما كثر السائرون فيه لأنه يؤدي إلى الهلاك. والفرق كبير بين الطريقين، حسب فكر المسيح، أي أن الطريق الضيق هو

طريق السماء والطهارة والقداسة بحياة جديدة، بينما الواسع هو طريق الشر والمعصية على الله وإتمام مطالب الطبيعة الساقطة والخطية في الإنسان العتيق.

الشرط الثاني: المطلوب منا هو أن نعوّد الرجل على الذهاب إلى بيت الله من أجل الاستماع لصوته والاشتراك في عبادته وتسبيحه مع المؤمنين. وما أبعد الحجة عن الصواب، في قول الذين لا يذهبون إلى بيت الله لأنهم يصلون في بيوتهم. ونحن نعتقد إن الذي يقيم العباد في بيته لا يستغني عن الاشتراك مع سواه في بيت الله. والرسول ينبهنا بقوله: ((غير تاركين اجتماعنا كما لقوم عادة بل واعظين بعضنا بعضاً وبالأكثر على قدر ما ترون اليوم يقرُب)) (عبرانيين10:25). وفي (جامعة5:1) تقول الكلمة ((أحفظ قدمك حين تذهب إلى بيت الله فالاستماع أقرب من تقديم ذبيحة الجهال لأنهم لا يبالون بفعل الشر)).

قرأت قصة عن كنيسة بنيت من جديد في بلدة ومُدَّ الطريق الجانبي المصل إليها بالإسمنت. وقبل أن ينشف الإسمنت كانت إحدى النساء التقيات ذاهبة للاشتراك في العبادة وكان معها أبنها، فمشى الولد على الإسمنت الطري وكل قدماً وطأت عليه تركت طابعاً لا يمحى وبذلك كان كل من سار في الطريق تلفت نظره خطوات الولد منبهة إياه ليتخذ اتجاه خاصا نحو الكنيسة فبذهب هو إليها، لان الوجود في حضرة الله يبعث في النفس الفرح الذي عبر عنه النبي داود بقوله: ((فرحت بالقائلين لي إلى بيت الرب نذهب)) (مزمور122:1). فلنجعل أرجلنا تحملنا على الدوام في سيرنا بطريق الرب وإلى بيته لكي ينطبق علينا قول المرنم في (مزمور84:5) ((طوبى لأناسٍ عزهم بك طرق بيتك في قلوبهم)). فحينما يكون بيت الله في قلوبنا ونتخذ كلمته مرشدة ومغذية لنا تكون نفوسنا متعلقة بمحبة الرب فنحبه من كل القلب والفكر وننجذب إليه بعامل نعمته السماوية.

وما أحرانا أن نجعل مسيرنا في الحياة دائما على ضوء النور المعطى لنا من الله حيث يقول المرنم ((سراج لرجلي كلامك ونور لسبيلي)) (مزمور119:105) وعندئذ تطمئن نفوسنا بوعده القائل ((لا يدع رجلك تزل. لا ينعس حافظك)) (مزمور121:3). وفي (مزمور91:11و12) أيضاً يقول ((لأنه يوصي ملائكته بك لكي يحفظوك في كل طرقك على الأيدي يحملونك لئلا تصدم بحجر رجلك)).

الشرط الثالث: الذي تفرضه علينا كلمة الله هو صبغ الرجل بالدم حسب قول الوحي في (مزمور68:23) ((لكي تصبغ رجلك بالدم)). على إننا من الكتاب نعلم عن ضرورة وجود الدم على القلب روحياً ليضمن تطهيره. وقد مرَّ معنا أيضاً انه ينبغي أن تكون الشفاه مصبوغة رمزياً بالدم لكي تشهد للفادي. ومن الكتب كذلك نعلم عن الأبواب التي وضع الدم على قوائمها كعلامة لذبح

خروف الفصح، من أجل نجاة الأبكار من المهلك. أما هذه العبارة تفرض أن تكون الرجل مصبوغة بالدم، أي أن رجل المؤمن بيسوع تسير في طريق الفداء حاملة علامة، لا علامة التطهير بالدم بل علامة التكريس للرب وحمل البشارة. والرسول بولس يشيد بجمال قدمي المبشر حيث يقول ((ما أجمل أقدام المبشرين بالسلام المبشرين بالخيرات)) (رومية 15:10)! وقد اقتبس الرسول ما جاء في (إشعيا52:7) القائل ((ما أجمل على الجبال قدمي المبشِّر المخبر بالسلام المبشر بالخير المخبر بالخلاص القائل لصهيون قد ملك إلهك)).

الحقيقة إننا كمؤمنين يجب أن تصطبغ كل أعضائنا بدم الفداء كعلامة لتكريس هذه الأعضاء للرب، لأنه ليس من رأسه ومن يديه ومن جنبه فقط سالت الدماء ولكن من رجليه أيضاً مما يدل على أن دمه قد انسكب ليصبغ أعضائنا ومن جملتها أرجلنا.

الشرط الرابع: المطلوب منا القيام به هو أن لا تكون أرجلنا حافية، إذ إن الكلمة في (أرميا2:25) تقول ((أحفظي رجلك من ألحفا)). والرب بقوله هذا كان يندد بأمة إسرائيل التي مشت حافية في عدم حفظها وصايا الرب وعدم امتثالها لأوامره بل سارت في طريق الأمم و لم تلبس حذاء مخافة الرب الواقي لها من التمثل بالأمم والسير في سبيل الوثنيين والتعبد لأصنامهم الباطلة، لأنها تمزق الأقدام وتدميها بأشواك المعصية. والرسول بولس عندما عين أنواع السلاح الروحي للمؤمن الذي يليق أن يحمله فيكون جندياً صالحاً للمسيح مستعداً للحرب، قال في (افسس15:6) ((حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام))، وهذا يعني أن لا نكون حفاة بل أن تكون أرجلنا لابسة الاهتمام بحمل بشارة إنجيل الخلاص. وقد ذكر الدكتور القس إبراهيم سعيد مرة تقرير مدرِّب عسكري ((بان أسباب انحدار الجنود الأحباش في ساحة القتال أنهم كانوا حفاة الأقدام ورواسب الغازات السامة لحست بطون أقدامهم)).

فكمؤمنين حقيقيين إذاً من واجبنا أن تكون أرجلنا مستعدة للسير في طريق البشارة بالإنجيل طبقاً لقول الرسول ((حاذين أرجلكم باستعداد إنجيل السلام)). وسفر الأعمال يخبرنا أن الملاك عندما أتى ليخرج بطرس من السجن أمره ليس فقط أن يتمنطق، بل قال له: ((البس نعليك))، ذلك لأنه كان عليه واجب السير بالبشارة المفرحة عن خروجه من السجن، لقدمها للأخوة الذين كانوا يصلون من أجله حتى لا ينفِّذ هيرودس حكم الإعدام به.

وبالعودة إلى قول الآية ((ما أجمل أقدام المبشرين المخبرين بالخلاص)) نجد أن أجمل تشبيه يذكره الكتاب في هذا الصدد هو عن الحمامة التي أطلقها نوح من الفلك، حيث يقول: ((لم تجد الحمامة مقراً لرجلها فرجعت إليه إلى الفلك)) (التكوين8:9). وفي الأعداد التابعة لهذا العدد يخبرنا

الكتاب أن نوحاً أرسل الحمامة مرة أخرى وفي هذه المرة رجعت إليه وفي فمها ورقة زيتون خضراء. فكانت هذه بشارة عظيمة لنوح ولذويه بان مياه الطوفان قد نقصت على الأرض وبانت الأشجار التي كانت مغمورة بها. وبذلك اطمأن نوح وفرح لأنه سيعود إلى الحياة ويقدم الشكر لله على النجاة من الهلاك مع الذين لم يؤمنوا و لم يلتجئوا لسفينة النجاة التي عيّنها الله.

ونحن كمؤمنين نجونا من طوفان الهلاك بواسطة فلك نجاتنا خلاص الرب يسوع. كمم يجب أن نحمل بشرى الفدى للذين يهددهم طوفان الهلاك إذا لم ينالوا النجاة بالمخلص السماوي. وما أعظم الفائدة لنا من هذا المثال بالحمامة التي قيل أنها ((لم تجد مقراً لرجلها))! فقد كانت بعكس الغراب الذي كان قد أرسله نوح و لم يعد إليه. ويظهر أن الغراب وجد مقراً لرجليه واستقر على الجيف الطافية على وجه المياه، وبما انه من طبيعته أنه قذر نجس فقد تغذى بلحوم الحيوانات الميتة ووجد مرتعاً له و لم يعد إلى الفلك، بخلاف الحمامة الطاهرة التي لم تجد مقراً لرجلها وعادت إلى نوح وحملت له البشارة. وعلى هذا الشكل أينما تجول المؤمن الحقيقي في هذا العالم المغمور بطوفان الشر والفساد، يجب أن لا يجد مقراً لرجله، لان ((العالم كله قد وضع في الشرير)) (1يوحنا19:5)، ((أُخضعت الخليقة للبطل)) (رومية20:8). وفي هذا العالم الموصوف هكذا ينبغي علينا أن نعود إلى السير حاملين البشرى المفرحة لقلب الله عما اختبرناه في الحياة به وفي الخدمة التي نقوم بها إتماماً لإرساله لنا.

الشرط الخامس: المطلوب من إتمامه هو أن لا نجعل أرجلنا تعرج بين الفرقتين. فالنبي إيليا جمع الشعب وكهنة البعل إلى جبل الكرمل والملك آخاب معهم. وهناك وبخهم بعنف لأنهم انحرفوا عن عبادة الله. وكم يحتاج مثل هذا التوبيخ الكثيرون اليوم حينما لا يتبعون الرب من كل قلوبهم بل يرتدون في أفكارهم بين الحق والباطل وبين الله والعالم ولا يصغون لقول الكتاب في (إشعيا20:8) ((إلى الشريعة والى الشهادة. إن لم يقولوا مثل هذا القول فليس لهم فجر)).

فكلمة الله تأمرنا أن نثبت في الإيمان الراسخ المؤسس على صخر الدهور، الرب يسوع، بل تحذرنا من التقلب بأفكارنا واعتقاداتنا وإيماننا، ومن روح الارتداد والرجوع إلى العالم والانجذاب لمغريات الدنيا. وكم هو مؤسف للغاية أن يعرج بعض المؤمنين بين الفرق الإنجيلية المستحدثة والمتشعبة تارة في هذه وأخرى في تلك متنقلين من مبدأ إلى مبدأ. فان كان المخلص الحبيب الذي عرفناه وقبلناه مخلصاً لنا وسيداً في حياتنا هو هو فلماذا التحول من أسم طائفي إلى لآخر. ألا يجب علينا أن نثبت في الرب بلا تردد ولا نجعل نفوسنا تتعلق بغيرها وأن تسير أرجلنا بغير الطريق الذي كرسه لنا بذاته، لأنه هو الطريق والحق والحياة وليس أحد يأتي إلى ألآب إلا به (يوحنا6:14).

فقد سجل الكتاب خطية ارتكبها الشعب قديماً وهي أنهم رجعوا بقلوبهم إلى مصر واشتهوا ما تمتعت به أجسادهم وبطونهم. وفي هذا التحذير لكل واحد من روح الارتداد والرجوع إلى الوراء من أجل محبة العالم نظير ((ديماس الذي أحب العالم الحاضر)) وقد ترك الرسول بولس ومشاركته في الخدمة (2تيموثاوس10:4) وعلينا أن نثبت في الرب ونصمد ضد مكايد العدو ونحارب في جيش قائدنا السماوي إلى أن ننال النصرة الأكيدة ونلبس الإكليل.

ويقال أن شاب من بلاد النمسا كان كسيح الرجلين، وبالرغم من ذلك قدم ذاته للجندية في الحرب القائمة بين بلاده وبلاد أخرى معادية. فقال له الناس: إياك أن تذهب إلى ساحة الحرب لأنك لا تقدر أن تهرب عند الهزيمة والانحدار أمام جيوش الأعداء. فأجاب بكل غيرة على وطنه وبكل ثقة بعزيمته: أنا ذاهب لا لأهرب إنما لأثبت حتى الانتصار الكامل. فعلى هذا الشكل يجب أن نعزم على الثبات في الرب وفي الإيمان الحي الذي أعطانا إياه رئيس الإيمان ومكمله. فمهما كانت التجارب ودعايات الضلال يجب أن نثبت بمقاومة الخطية حتى الدم (العبرانيين4:12).

ومع انه يطلب منا كمؤمنين أن نثبت في الرب ونترع من أفكارنا روح الانهزامية، فمن ناحية أخرى يجب أن نمرّن أرجلنا على الركض للهزيمة والابتعاد عن العالم وشره لأنه مثل سدوم وعمورة مهدد بالهلاك أن نخرج منه بكل سرعة دون أي التفات إلى الوراء حتى نصل إلى الملجأ السماوي الذي إليه تنتهي الحياة. فلنهرب إذاً من ملاهي العالم التي هي كمصايد لصيد النفوس بفخاخ التجارب الشيطانية.

سادس شرط: يطلب منا هو أن تكون أرجلنا متممة الغاية التي خلقت من أجلها. فهي لم تخلق للرقص والخلاعة، بل للقيام بأي خدمة يطلبها الله منا. ولنحذر من كل ما يمكن أن تسببه لنا أرجلنا من العثرات لان الرب يقول ((إن أعثرتك رجلك فاقطعها. خير لك أن تخل الحياة أعرج من أن تكون لك رجلان وتطرح في جهنم في النار التي لا تطفأ)) (مرقس45:9).

سابع شرط: يطلب منا هو أن تكون أرجلنا مغسولة ونظيفة. ولكن هذا الشرط محدود بمن يغسل أرجلنا. هل نغسلها نحن بأيدينا؟ كلا، إنما أن يغسلها المسيح الذي أعطانا المثال بعمله كما نقرأ في (يوحنا ص13). دعونا نصغي إلى قوله لبطرس ((إن كنتُ لا أغسلك فليس لك معي نصيب)) (عدد 8). فالرب يسوع بسله أرجل التلاميذ لم يقصد أن يعلمنا درس التواضع وخدمة بعضنا البعض فحسب، بل درساً له أهمية روحية كبرى، أي الطهارة الكاملة بغسل الميلاد الثاني. وبتشديد السيد على غسل الأرجل دون باقي أعضاء الجسد، كما نفهم من قوله لبطرس (عدد 10) ((الذي قد اغتسل ليس له حاجة إلاّ لغسل رجليه بل هو طاهر كله))، يرينا أن المتجدد بالإيمان قد تطهر من

الخطية، ومع ذلك يحتاج إلى التقديس الذي هو عبارة عن التنظيف المستمر في الحياة، لان التجديد يحصل دفعة واحدة عندما يؤمن الإنسان بتوبة صادقة يضع خطاياه على المخلص ويقبله في حياته وبعد التجديد الذي يحصل عليه في الحال، يظل محتاجاً إلى التقديس الذي هو عملية إلهية تتكرر باستمرار. فبغسل الأرجل تتم إزالة ما لحق بها من الغبار في الطريق. وهكذا نحن، مادمنا في هذا العالم ونسير فيه، يلتصق بنا غبار الدنيا، ومن أجل إزالته نحتاج لعملية التقديس المتواصلة والتنقية بقوة الروح القدس.

# القلب

فيما سبق كنا نتأمل في دروسنا عن أعضاء الجسد بصفة كونها بكليتها جسد المسيح. وآخر عضو درسنا عنه كان الرجل. ومعلوم أن كل الأعضاء التي سبق أن درسنا عنها كانت خارجية ظاهرة في الجسم. أما القلب الذي ندرس عنه الآن كخاتمة لدروسنا عن أعضاء الجسد، فهو العضو الداخلي.

و إن كنا رأينا أهمية الأعضاء الخارجية الطبيعية بكونها ترمز للأعضاء الروحية في النفس، فالقلب أيضا كعضو،له أهمية كبرى في الحياة،لأنه مركز العواطف والشعور في الإنسان. وكدليل على أهميته, نجد كلمة الوحي في (امثال4:23) تقول: ((فوق كل تحفظ أحفظ قلبك لان منه مخارج الحياة)). وفضلا عن تنويه الوحي بشأنه للتحفظ الزائد عن كل تحفظ للأعضاء الأخرى، تظهر أهميته بالنظر لخطورة مركزه وعمله، فهو خطير للأسباب التالية:

السبب الأول: انه خطير كونه وحيداً في الجسم. ففي الكيان الإنساني أعضاء كثيرة مزدوجة، سواء كانت خارجية كالعينين والأذنين واليدين والرجلين، أو داخلية كالكليتين والرئتين. وكل هذه الأعضاء مزدوجة، مع كونها ضرورية جداً، فإذا خسر الإنسان أحدها يقدر أن يعيش بالباقية. فإن حصل وخسر الواحد يده مثلاً أو عينه يكتفي باستعمال اليد أو العين الباقية. أما القلب الذي هو وحيد فلا غنى عنه، وإذا خسره الواحد فلا يستعين بعضو آخر بل يخسر الكل. والوحيد دائماً ثمين وقيمته كبيرة. والقلب مثل النفس الوحيدة في الإنسان، وبكونها وحيدة إذا خسرها الإنسان لا يجد عوضاً عنها. ولذلك قال الرب يسوع قوله الخالد: ((ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه أو ماذا يعطي الإنسان فداء عن نفسه)) (متى16:26).

السبب الثاني: لخطورة القلب عمله المتواصل، لأنه يعمل بلا انقطاع ليلاً نهاراً لصالح كل أقسام الجسم. وهو بخلاف بقية الأعضاء التي تتوقف عن العمل وتأخذ راحة كاليد والرجل والعين. هذه كلها لها فرصة ترتاح فيها فترة من الزمن في كل 24 ساعة. فحينما ينام الإنسان لا تعود هذه الأعضاء تعمل شيئاً، أما القلب فلا ينا ولا يمكن أن يتوقف عن عمله ولو لحظات، لأنه إذا توقف يحصل الموت في الحال. يفاخر أصحاب المصالح الميكانيكية في بلاد الإنكليز أو الألمان مثلاً بأن مصنوعات مصانعهم متينة وتداوم العمل سنين عديدة. ولكن هل علمتم أيها القرّاء الكرام عن مصنع يصنع آلات تستمر عملها عشرات السنين بل مئة سنة وما يزيد عن المائة من الأعوام في بعض الأحيان؟ هذا هو مصنع الله الذي صنع القلب العضو العجيب الذي لا يهدأ ولا يتوقف عن العمل

طيلة أيام حياة الإنسان في العالم. وقد عمل أحد أولاد الله إحصاء لعمل القلب فقال إنه يضرب مئة ألف ضربة في كل أربع وعشرين ساعة، وأنه يدفع كل ساعة ما يزيد عن نصف قنطار من الدم، وأنه في كل أربع دقائق يدفع مقدار كامل الدم الموجود في الجسم. وهذا يرينا أهمية هذا العضو العجيب في الإنسان.

السبب الثالث: لخطورة القلب وأهميته إن عمله المتواصل يقوم به لفائدة كل الجسم من أصغر عضو إلى أكبر عضو فيه، ولا غنى لأي من الأعضاء عن عمله. وقد وصفه أحد رجال الله بالمطحنة التي تطحن الحبوب ليتكون من دقيقها الخبز للغذاء. وهو بالحق يقدم لكل الجسم المقويات في الدورة الدموية. والقلب أخذ ويعطي: يأخذ من الرئة ون الشرايين والعروق الدم الذي أخذ الجسم الفائدة منه و لم يعد منه منفعة كافية، يأخذ هذا الدم لينقيه ويرجعه نقياً للاستهلاك في كل قوى الكيان الحيواني العاملة في الإنسان. وبعمله هذا هو بمثابة معمل للدم في كل الكريات البيضاء والحمراء التي يتكون منها اللحم الذي يكسو العظام والأعصاب.

ونظراً لأهمية الدم وضرورته للجسم فقد ارتأى أرباب الطب أن يكون في كل مستشفى بنك للدم يعطي المريض المقدار الذي يحتاجه ليعوض عما خسر من دمه. ولو كان درسنا عن القلب اللحمي الطبيعي لكلفنا أحد الأطباء الاختصاصيين في موضوع القلب ليقدم لنا مطالعته العملية الشاملة، ولكننا ندرس عن القلب كعضو مجازي فنريد أن نرى أهميته من الناحية الروحية نظير غيره من الأعضاء المادية ورمزها للروحية فينا. فكما نجد أن للقلب الطبيعي أهمية كبرى بحيث انه يرسل الدم النقي المقوي لكل الأعضاء كذلك نجد أن للقلب الرمزي أي بالمعنى الروحي في الإنسان الأهمية العظمى، لأنه يمد القوى الحية في الكيان بما يضمن للأعضاء استمرارها في العمل وفي الحياة. وتظهر أهمية القلب الروحي أو الرمزي فينا ببعض الطرق.

الطريقة الأولى: الإفراز الذي يصدر منه ويوزعه على كل الأقسام في الحياة. والقلب في تعليل الرب يسوع نوعان، وهو إما صالح وإما شرير. وفي (لوقا6:45) نقرأ قوله ((الإنسان الصالح من كنز قلبه الصالح يخرج الصلاح. والإنسان الشرير من كنز قلبه الشرير يخرج الشر. فانه من فضلة القلب يتكلم فمه)). وهذا يعني أن الفم إذا نطق بكلام ردي لا يكون الحق عليه لأنه استورد الكلام ألردي من مستودع القلب الشرير. واليد إذا عملت عملاً شريراً، والعين إذا نظرت النظرات الإثمية لا يكون الحق عليها، لان القلب هو مصدر العمل وشهوة العيون. وليس الحق على اللسان إذا استعمل ألفاظ التجديف والشتم واللعن، بل الحق كله على القلب الذي تكمن فيه كل الشرور. وإذا عدنا لقول الرب عنه في (مرقس21:-23) نجده مغارة لصوص أو مكروبات خطرة. وهذا ما قاله الرب ((من

الداخل من قلوب الناي تخرج الأفكار الشريرة. زنى فسق قتل سرقة طمع خبث مكر عهارة عين شريرة تجديف كبرياء جهل. جميع هذه الشرور تخرج من الداخل وتنجس الإنسان)). فنزعة الحقد والبغض الإثمية تجعل الإنسان مجرماً كقاتل بدون أن يحمل السلاح للقتل، يكفي أن يكون البغض في القلب، وهكذا في تشخيص بعض الخطايا وعملها في النفس.

فمن الضروري إذا أن نعرف عن القلب الطبيعي الذي تدنس في الخطية كما يوضح الله بالتمام لأقواله. فبفم أرميا يصفه بقوله: ((القلب أخدع من كل شيء وهو نجيس من يعرفه. أنا الرب فاحص القلب مختبر الكلى لا أعطي كل واحد حسب طرقه حسب ثمر أعماله)) (أرميا17:1و10). وفي (زكريا7:12) نعته بالقسوة الشديدة إذ قال ((جعلوا قلبهم ماساً)). نعم يقول عنه الوحي في حزقيال بأنه حجري، ولكن بتشبيهه بالماس يرينا شدة قسوته لأننا نعلم أن قطعة الماس الصغيرة تشق الزجاج القاسي. وكلمة الوحي توضح لنا العامل في نفسيته بعواطفه وإحساسه فيقول عنه ((يُقسَّى احد منكم بغرور الخطية)) ( العبرانيين3:13). فهذا هو القلب الذي فينا بحيث الطبيعة الساقطة إذ أصبح مسكناً للشر، وللمعصية، ولكل إثم. هذا هو القلب الشرير كما يشخصه الله.

الطريقة الثانية: قابلية التغيير والتحول في القلب المعنوي في الإنسان. فالتغيير إمكانية أكيدة. ويظهر ذلك في الحياة بالقول والعمل. وعندئذ يكون هو النوع الآخر أي القلب الصالح الذي جدده الرب ومنه يخرج الصلاح. فمهما كانت حالة القلب بحسب الطبيعة الشريرة وآثمة يجب أن لا ييأس الإنسان ويقطع الأمل بأنه مفروغ منه وبحسب حالة قلبه الأولى محكوم عليه حتماً بالهلاك: كلا، إنما يجب أن نشكر الله لأنه مستعد أن يحدث التغيير الكبير في القلب. نعم إننا نشكر الله من أجل إلهامه لذوي الاختصاص في الطب الذي تقدم العلم به في عصرنا خصوصاً في مرض القلب، لان الأطباء الموهوبين منه تعالى صار بإمكانهم أن يعالجوا أمراض القلب الجسدي بالأدوية والمقويات، أو بواسطة الجراحة أحياناً. ولكن مع اعترافنا بفضل الطب والأطباء ينبغي أن نقدر للرب فضله الأعظم لأنه يعمل عملاً للقلب الروحي بشكلٍ لا يستطيع الطب أن يفعله للقلب الجسدي. فالطبيب الإنساني يلاطف القلب اللحمي بكل حذر، لأنه حساس جداً، وبكل ما يعمله له لا يمكن تغييره. أما الله فعمله أعظم بما لا يقاس لأنه يغير القلب تغييراً كلياً. وقد صرَّح لنا بقوله في (حزقيال36:26) ((أُعطيكم قلباً جديداً وأجعل روحاً جديدة في داخلكم وأنزع قلب الحجر من لحمكم وأعطيكم قلب لحم)). هذه هي عملية الله الداخلية في النفس إذ يبدل القلب بآخر.

من القصص ذات المغزى المفيد أن أحد الملوك في الصين كان مرة يتجول مع حاشيته ملكه في أحد شوارع المدينة. ورأى ختزيراً يتمرغ في الأوحال، فرثى لحالته هذه، وقال للوزراء: لو اعتاد هذا

الحيوان على النظافة لما رضي أن يعيش في وسط الأقذار. ولكن أحد الوزراء قال له: يا جلالة الملك! هذا الحيوان من طبعه وسخ، لا يمكن أن يكون نظيفاً. عندئذ أمر الملك أن يجربوا كل الوسائط بعزل واحد عن بقية الخنازير ويعملوا ما يلزم لغسله وتنظيفه. فجربوا كل شيء. وعندما أتوا للامتحان وأطلقوا الخنزير، في الحال انضم إلى قطيعه ورمى ذاته بالوحل. ارتأى الملك أن يُربَّى خنزير صغير من أول حياته دون أن يعتاد على المعيشة بالوحل ويحفظ طاهراً من كل الأقذار إلى أن يكبر. فعمل الوزير حسب أمر الملك. وحينما كبر الخنزير وأتوا به للامتحان عمل كالخنزير وذهب مع بقية الفصيلة إلى الوحل. فحزن الملك من أجل ذلك، ولكن الوزير طلب من الملك أن يمهله لإجراء تجربة أخرى وبعد ذلك يرى النتيجة. أخذ الوزير أحد الخنازير وخروفاً إلى الطبيب الجراح الماهر بالعمليات الداخلية طلب منه أن يشق الخنزير والخروف وينقل قلب الخروف ويضعه مكان قلب الخنزير، فعمل الجراح العملية مع معاونيه بكل سرعة وخاطوا جراح الخنزير بمهارة فائقة وأنعشوه واعتنوا به حتى تقوّى وتنشّط وصار يمشي حسب العادة. عندئذ طلب الوزير من الملك أن يمتحنوا التجربة الأخيرة. فأخذوا الخنزير هذا ومرّوا به بين القطعان من فصيلته فلم يلتفت لها وتحاشى الأوحال, وابتعد عنها. فتعجب الملك من ذلك التغيير الذي حصل، فأخبره الوزير أن الذي تغيَّر في الخنزير قلبه فقط ووضع قلب خروف ولذلك تراه كأنه خروف لا خنزير. فهذه القصة الخرافية ترمز إلى تعليم روحي عما يفعله الله في الإنسان الدنس في الطبيعة والعمل حيث يعطيه قلباً جديداً ويصير من الخراف الطاهرة الوديعة.

وقد يلجأ الناس إلى وسائط كثيرة لتغيير عقولهم وغرائزهم بما يتعلمون وبأخلاقهم بما يدرسون ويتلقنون، ولتغيير عوائدهم وملابسهم بما يقلدون، ولكن هذه الوسائط كلها، وسواها، لا تقدر أن تغيّر الطبيعة الأصلية في الإنسان، لان التحول من إنسان شرير إلى إنسان صالح يتم بعمل الله حينما يغيِّر القلب في الإنسان.

الطريقة الثالثة: للتغيير الحقيقي الروحي الذي يعمله الله فينا هي لإجراءات التي لا غنى عنها والتي يجب أن نقوم بها لكي يتمم الله عمله.

الإجراء الأول: الخطير وهو الشعور الداخلي في الحياة بكون النفس في الحالة الخاطئة المكروهة بنظر الله، وان الإنسان بسببها مستحق للعقاب بمقتضى عدل الله وقداسته. فشعور الخاطئ ((بالخطية الخاطئة جداً)) كما وصفت في (رومية7:13) هو الذي يدفعه إلى الالتجاء لرحمة الله بالتوبة الصادقة من أعماق حياته ويعترف بكل آثامه ويتذلل أمامه تعالى نظير داود حينما تبكت على خطيته وتقدم بتلك التوبة التي نقرأها في ( مزمور51) خصوصا بطلبته من الله في عدد 10 ((قلباً نقياً اخلق فيَّ يا الله)). أما الذي ليس عنده الشعور الداخلي بثقل الخطية ولا يتبكت بفعل الروح المبكت فلا يتوب

ولا يلجأ لله، لأننا نعلم أن الذي لا يشعر بألم المرض في جسمه، لا يخاف من عاقبته على حياته، ولا يمكن أن يذهب إلى الطبيب لمداواته. وقد قال الرب ((لم آت لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة)) (متى 13:9).

فهل عندك أيها الأخ القارئ هذا الشعور العميق في داخلك بثقل الخطية وفعلها في نفسك؟ وهل تتأكد إنك بحاجة إلى رحمة الرب وغفران الخطية؟ وهلاَّ تعلم انك بدون اتخاذ هذا الإجراء من أجل الحصول على القلب النقي لا تقدر أن تعاين الله.

الإجراء الثاني: الضروري الذي يجب أن يجريه كل واحد، هو الثقة القلبية الوطيدة بمحبة الرب ونعمته، والتيقن انه حسب وعده لا يرفض من يأتي إليه، بشرط أن يكون المجيء إليه بقلب منكسر وبروح منسحقة وبعزم ثابت على ترك الخطية والرجوع عن طرق الأولى كما قيل في اشعيا(7:55) ((ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره وليتب إلى الله فيرحمه والى إلهنا لأنه يكثر الغفران)).

كثيراً ما نقرأ في أخبار الكتاب عن أشخاص تمرسوا على المعاصي والتعدي على وصايا الله، ومع ذلك حينما كان يتبكت الواحد منهم ويلتجئ للرحمة الإلهية كان الرب يغفر له ويصفح في الحال. خذوا مثلاً يربعام ابن ناباط الذي اشتهر بفظاعة خطاياه وتكرر القول عنه ((جعل إسرائيل يخطئ)) فهذا حينما أدبه الرب وييَّس يده، ونبيُّ الله أمامه، طلب في الحال من النبي أن يصلي لأجله ليصفح الرب ويرد يده لحالتها. وهكذا صار. واستجاب الله في الحال (1ملوك ص 13). وخذوا مثلاً آخاب الشرير أيضاً كيف كان الله يعمله بالصفح عند تذلله أمامه. خذوا مثلاً منسَّى الذي فاقت شروره عن كل ما عُمل في أورشليم. فهذا عندما رجع للرب متبكتاً على خطاياه غفر الرب وصفح عن ذنوبه وأرجعه من سبيه في بابل إلى ملكه، ذلك لأنه التجأ للرب الذي هو إله رحمة ولا يرفض طالبيه.

وهذا كان اختبار داود النبي حينما التجأ لرحمة الرب. فقد تيقن أن الله يقبله وانه لا يحتقر قلبه المنكسر والمنسحق، ولذلك نسمعه في عدد 17 من مزمور توبته يقول ((القلب المنكسر والمنسحق يا الله لا تحتقره)).

وفي (يوئيل12:2و13) يقول الرب ((ارجعوا إليَّ بكل قلوبكم وبالصوم والبكاء والنوح. ومزقوا قلوبكم لا ثيابكم وارجعوا إلى الرب إلهكم لأنه رؤوف رحيم بطيء الغضب وكثير الرأفة ويندم على الشر)).

وبشفقته علينا إذاً، يعلن قبولنا حينما نتقدم بقلوب ممزقة حزناً على آثامنا، بل يصرح بأنه لا يقبل القلب المنسحق بالتوبة.

إن معاملة الله لا تقاس بمعاملتنا ولا بحسب آرائنا. ففي نظرنا لا قيمة للمسكين، ولكن عند الله ((طوبى للمساكين بالروح)). فلتكن عندنا هذه الثقة الوطيدة برحمة إلهنا، ولنتأكد انه لا يرفضنا عندما نأتي إليه بالحزن والندامة على الخطية. فهل عندك هذا الرجاء الحي وتأتي إلى الفادي بكل ثقة ويقين بأنه يقبلك حينا تقبله بالإيمان؟

الإجراء الثالث: الذي نقوم به نحن هو أن نتقدم خطوة عملية إيجابية بحيث لا نقف عند حد الشعور العميق بالخطية، ولا نقف عند حد الثقة برحمة الرب وصفحه، مع أن كل هذه الأشياء ضرورية، ولا غنى عنها. أما الخطوة الأخرى التي يجب أن نخطوها نحو الرب فهي أن نعطيه القلب العتيق الفاسد الذي فينا لأنه يقول ((يا ابني أعطني قلبك)) (أمثال23:26). والله لا يطلب منا القلب إلا لأنه فحصه ووجده بحالة لا ينفع معها ترقيع ولا تطبيب بل يحتاج للتغيير بقلب آخر. لذلك من الواجب علينا أن نعطيه هذا القلب الدنس.

وبطلب الرب منا أن نعطيه القلب لا يعني انه يُبقي الواحد منا بلا قلب بالمرّة، بل يقصد إعلانه الأكيد بإعطاء ما هو أحسن مما نعطي له. ومن الخطأ أن يفكر أحد انه بإمكانه أن يقتني القلبين، العتيق الذي يملكه والجديد الذي يأخذه، بل ينبغي أن يتأكد انه إما يحتفظ بالقلب الطبيعي، أو أن يعطيه إياه ويأخذ الجديد المغسول بدم الفداء والموهوب مجاناً. فالذي لحد الآن لم تتم معاملة المبادلة في حياته، أمامه الفرصة الثمينة الآن فيقول: يا رب خذ قلبي الحجري المدنس وأعطني القلب اللحمي الحساس الجديد بالنعمة. ويجب أن نتأكد أن الله عندما يعطي الإنسان قلباً جديداً يجعله إنسانا جديداً. والكتاب يخبرنا عن اختيار الله لشاول ليكون أول ملك عظيم على الشعب. وقد دعاه صموئيل وبلغه اختيار الله له إلى مقام عظيم يرفعه إليه. وأعطاه النبي التعليمات اللازمة ومسحه وقال له كما في (1 صموئيل10:6) ((فيحل عليك روح الرب. . . وتتحول إلى رجل آخر))، وفي عدد 9 نقرأ أن شاول ((أدار كتفه لكي يذهب. . . وان الله أعطاه قلباً آخر))، وفي عدد 10 يقول الكتاب أن روح الله حل عليه وتنبأ مع الأنبياء. وهذا الترتيب الإلهي يرينا انه كما حصل لشاول يريد أن يحصل لنا، وذلك باختياره لنا نظيره، ثم بدعوته لنا نظير دعوته، ثم بالتغيير الذي يحدثه فينا ويسكن ويمسحنا بمسحته الإلهية (1يوحنا2:27) ((وأما أنتم فالمسحة التي أخذتموها منه ثابتة فيكم)) الخ، وبأعظم مما نال شاول ننال بنعمة الرب، فقد ارتفع شاول لمقام سامٍ ليكون ملكاً لمدة من الزمن، أما نحن فيرفعنا الرب بالإيمان إلى مقام أسمى فنكون كهنة وملوكاً ونملك مع الرب (رؤيا1:6و5:10) فبعمل قدرة

الرب ومن فضل محبته يمنح،لمن يريد، قلباً آخر، ويحوله إلى رجل آخر ويحول المرأة إلى امرأة أخرى بقوة روحه القدوس. وكل تغير وتحول يحدثه الرب من الضروري أن تظهر له النتائج بشكل يتأكد أمام الآخرين. ومن هذه النتائج:

أ- انه يجعل قلوبنا هياكل له فيسكن فنا بروحه الصالح ويمكث إلى المنتهى.

ب- انه يعطينا حق البنوة الممتاز حتى نصير نخاطب ألآب كبنين له بالولادة الثانية من فوق

ج- انه يجعلنا نتوج الفادي رباً وسيداً في حياتنا، لان الإنسان لا يستطيع أن يتخذ المسيح مخلصاً ما لم يعزم على تتويجه ملكاً، لان يسوع لا يدخل إلى القلب ويترك تاجه خارجاً.

د- انه يملأ قلوبنا من المحبة له عندئذ نستطيع نحن أن نحبه من كل القلب والنفس والقدرة كما يطلب هذا منا بكلمته.

ه-انه يعطينا القوة لكي نتمم مشيئته بكل طاعة ونشهد لمخلصنا الحبيب ونقوم بكل خدمة تطلب منا. وقد قال الرسول بولس في (افسس6:6) ((لا بخدمة العين كمن يرضي الناس بل كعبيد المسيح عاملين مشيئة الله من القلب)).

و- انه يجعلنا مكرسين له وثابتين فيه وباتصال معه بصلواتنا كما قال المرنم في (زمور10:119) ((بكل قلبي طلبتك))، ومن ثم تصبح عبادتنا له ليس من الشفاه بل من القلب بالروح والحق حسب رغبة قلبه هو.

ز- انه يجعلنا مهيئين لملاقاة ربنا المبارك في مجيئه المجيد لكي نمتلك نصيبنا الصالح في الأبدية معه وبحضرته.